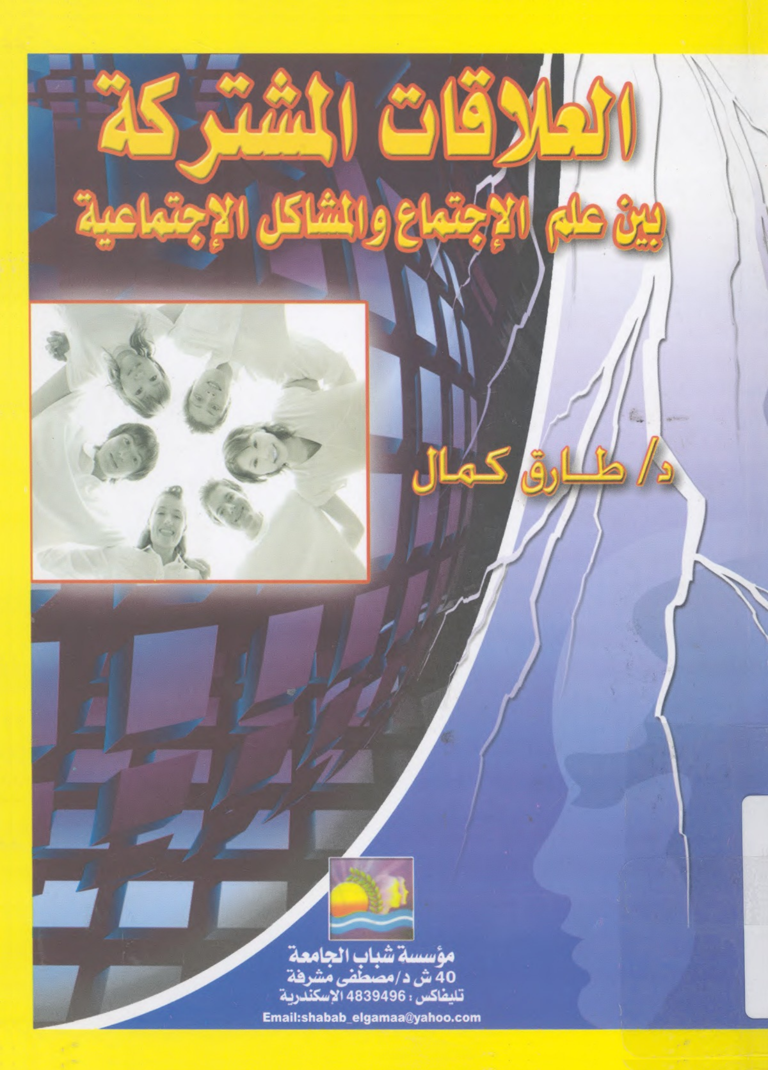

العلاقات المشتركة
بين علم الإجتماع والمشاكل الإجتماعية
د/ طارق كمال
مؤسسة شباب الجامعة
40 ش د/مصطفى مشرفة
تليفاكس : 4839496 الإسكندرية
Email:shabab_elgamaa@yahoo.com

العلاقـــات المشتركـــة
بين علم الإجتماع والمشاكل الإجتماعية

د / طارق كمال

٢٠٠٩

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش د/ مصطفى مشرفة
الاسكندرية تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦
E–mail.:Shabab-Elgamaa@yahoo.com

البـــاب الأول

الفصــــل الأول

حقيقة المشاكل الإجتماعية

الفصـــل الأول
حقيقة المشاكل الإجتماعية

مقدمـة :ـ

كان هناك إهتمام كبير بدراسة المشكلات الإجتماعية

Social Problems ، خاصـــة فـــي الولايات المتحدة ، وذلك منذ زمن بعيد .

وفـــي حقـــيقة الأمر فإن علماء الإجتماع لم يتخذوا من علمهم وسيلة لحل المشكلات الإجتماعية بالرغم من أن هذا التطور في علم الإجتماع قد ساد في كل أنحاء العالم .

وقد كان ما يهم علماء الإجتماع – وذلك لفترة طويلة – هو الآتي :-

١. الجريمة .
٢. الإنحراف .
٣. المشاكل السلالية .
٤. المشاكل العرقية .
٥. المشاكل الزوجية .
٦. الطلاق .
٧. الأمراض العقلية .
٨. مشكلات التعليم .
٩. تفكك الأسرة .
١٠. مشاكل المجتمع المحلي الحضري .

أكثر من هذا فإن هذه المشكلات قد سيطرت علي جهود العلماء خلال عشرات السنين الحديثة ، وذلك عندما صار الإهتمام بالفقر وخلافه يتركز علي مجموعة مركبة من القضايا المتداخلة .

وقـد كانـت هذه القضايا بمثابة الغاية للسياسة الإجتماعية علي كافة المستويات .

ومـع ذلـك فإن دراسة المشكلات الإجتماعية كانت دائماً سبباً في الإختلاف بين علماء الإجتماع .

إذ أنـه كان هناك دائماً نوع من التوتر بين الميل إلي أن يكون هذا الإنشغال ملائماً لعلم الإجتماع ، وبين الرغبة في إقامة علم إجتماع يتسم بأنه علم أكاديمي بحت .

المشكلات الإجتماعية ومداخلها :-

فـي الآونة الأخيرة بدأ علم الإجتماع في الإهتمام بمشكلات التصنيع السريع وثقافة المجتمع .

وعندما حل القرن العشرون لم يكن لمفهوم المشكلات الإجتماعية أي وجود أو تأثير .

وعوضـاً عـن ذلـك كان هناك مفهوم يضم في إطاره المشكلات الإجتماعية .

وقد كان هذا المفهوم يعرف بإسم الباثولوجيا الإجتماعية (Social Pathology) ، وبعد ذلك ظهر مفهوم التفكك الإجتماعي .

١) حقيقة الباثولوجيا الإجتماعية Social Pathology :-

هـذا المـصطلح قد دخل إلي علم الإجتماع علي إنه جزء من نظام سوسيولوجي أكبر .

وتصور الباثولوجيا الإجتماعية يتفق مع المدخل التطوري الذي قبله الجل الأول من علماء الإجتماع .

وهـذا المـتطور يـستوحي الدارونـية في أجزاء عديدة بين الكائن العضوي والمجتمع .

وإذا كـــان مـــن الواجب وضع تصور عام للمجتمع يفيد في تحليله ، علـــي غرار ما يحدث للكائن العضوي ، فإنه من الواجب تشبيهه بالكائن الحـــي ، مـــن حـــيث تمـــتعه بحالة طيبة من الصحة ، وظروف معتادة Normal.

ويمكن القول بأن أي إبتعاد عن هذا يعتبر باثولوجيا .

ويقـــوم علماء الإجتماع بدراسة حالة المعيشة لدي الفقراء المهاجرين في المدن التي تنمو بصورة سريعة .

أيضاً فإن علماء الإجتماع يهتمون بدراسة المناطق المختلفة Slums ، بالإضافة إلي الجريمة والإنحراف والفقر والطلاق وغير ذلك .

وهذه الظواهر في عمومها يطلق عليها إسم " الباثولوجيا الإجتماعية".

ويقـــول رايت ميلز Wright Mills عن أصحاب إتجاه الباثولوجيا الإجتماعية :-

" إنهـــم عادة لم يكونوا من أصول حضرية ، وإنما نشأوا في بيئات محلية ريفية .

وكانـــوا أيـــضاً مـــن أبـــناء الطبقة الوسطي البروتستانت ومن هذا المنظور قاموا بتفسير هذه الظواهر الجديدة المتعلقة بالنحو الحضري " .

إنتهي كلام : رايت ميلز .

الإنحلال الإجتماعي :-

إن الـــتحول من مفهوم الباثولوجيا إلي مفهوم الإنحلال الإجتماعي لا يعبر عن أي تغيير في المشكلات الإجتماعية قيد البحث .

إذ أن الـــشواهد علي الباثولوجيا الإجتماعية التي كان يتم رصدها في الماضي تعتبر اليوم مؤشرات علي الإنحلال الإجتماعي .

وهكذا فإن بعض المشكلات مثل مشكلة الطلاق علي سبيل المثال ينظر إليها علي أنها مؤشرات بالنسبة لإنحلال الأسرة .

ونوع الحياة الأسرية التي كان ينظر إليها قديماً علي أنها ثابتة ينظر إليها الآن علي أنها تنظيم للأسرة ، بحيث أن أي إنحراف عنها يعني التفكك في النمط المعتاد لحياة الأسرة .

وهناك بعض المشاكل التي تجابه مفهوم الإنحلال الإجتماعي .

ومن هذه المشاكل أنه بالرغم مما يزعمه المفهوم من الإنحياز إلي التحليل العلمي ، إلا إنه يضفي حكماً من أحكام القيمة علي الحياة الإجتماعية .

وعملية التسليم بالحالة السابقة للتنظيم – مثل تسليم الباثولوجيا بحالة الكائن العضوي الإجتماعي المعتادة – يشتمل ضمنياً علي معني مؤداه أن مؤشرات التفكك الإجتماعي قد أمكن ملاحظتها في المجتمع عندما حدث الإنحلال الإجتماعي فقط .

ولكن من المهم هنا أن نتذكر أن هذه العملية كانت ترتبط بعملية التصنيع السريع في الولايات المتحدة .

لذلك يمكن القول بأنها واقعة حديثة من الناحية التاريخية .

وعلي سبيل المثال فإن الجريمة ليست ظاهرة حديثة ، إذ إنها موجودة منذ زمن طويل .

وعالم الإجتماع ليس ساذجاً إلي الحد الذي يجعله يعتقد بأن التفكك الإجتماعي الحديث هو الذي أدي إلي وجود مثل هذه الظواهر الإجتماعية.

ومع ذلك فإن عالم الإجتماع قد يسلم بأن هذه الظواهر قد زادت بصورة حادة في الآونة الأخيرة .

وهـــذا المنهج الذي نحن بصدده يجعل من الضرورة التسليم بأن من المستطاع قياس أي زيادة في معدلات المؤشرات المتباينة علي الإنحلال.

ومع ذلك فإن هناك صعوبة في الحصول على بيانات دقيقة فيما يتعلق بالمعدلات السائدة .

وعلي سبيل المثال فقد كان من المسلم به منذ فترة طويلة أن معدلات المـــرض العقلـــي قـــد إزدادت كثيراً في الولايات المتحدة خلال القرن العشرين .

ومع ذلك فإن عدم وجود مقاييس للمرض العقلي خلال القرن التاسع عشر ، وبدايات القرن العشرين جعل من الصعب إثبات ذلك .

وهكـــذا فـــإن مفهوم الإنحلال الإجتماعي لم يكن في مقدوره تجنب مشكلة القيمة التي عابت مفهوم الباثولوجيا الإجتماعية أيضاً .

ولـــيس معنـــي ذلـــك أن هـــناك فائدة تصورية في عملية التغير من الباثولوجيا إلي الإنحلال .

المشاكل الإجتماعية Social Problems :-

كان التصور الذي قدمه كل من (فولر) و (مايرز) بمثابة تحرير من إصدار أحكام قيمية حول ما إذا كان هناك إنحلال إجتماعي أم لا ؟ .

وعوضاً عن ذلك ، تم تحديد المشاكل الإجتماعية علي إنها الظروف أو المواقف التي يعتبرها أفراد المجتمع تهديداً للقيم السائدة بينهم .

ويمكـــن القـــول ببساطة أن المشكلات الإجتماعية هي ما يعتقد أفراد المجتمع أنها كذلك .

ولكـــي تمـــثل الظـــروف مشكلة إجتماعية ، فإن ذلك يستلزم وجود شرطين .

أولاً : يجب وجود ظرف موضوعي مثل التطهير العرقي أو الفقر أو الجريمة ، وما إلي ذلك .

ثانياً : يجب أن يكون هناك تعريف ذاتي من قبل أفراد المجتمع أو بعضهم ، بأن هذا الظرف الموضوعي يمكن إعتباره مشكلة إجتماعية .

وهنا تقوم القيم بالدور المنوط بها .

وهناك أمثلة عديدة وواضحة علي هذا الإتجاه في تناول المشكلات الإجتماعية .

ومن هذه الأمثلة :-

١. الفقر .

٢. التوترات العرقية .

وذلك علي سبيل المثال ، لا الحصر .

وبالنسبة للفقر بالذات فإنه قد يكون موجوداً في المجتمع دون أن يشكل مشكلة إجتماعية .

وذلك لأن أفراد المجتمع يقبلون الفقر علي أنه أمر لا مفر منه في بعض الأحيان .

أيضاً فإن مشكلة التفرقة العنصرية لا تعتبر مشكلة لدي أولئك الذين يتمسكون باتجاهات التحيز للجنس .

ومهما كانت المشكلات الإجتماعية في إستطاعتها إضفاء التهديد علي ظرف موضوعي أياً كان ، فإنها لا تعتبر مشكلة إجتماعية إلا إذا كان هناك فرد واحد من أفراد المجتمع علي الأقل قادراً علي تحديدها .

ولا يتم تعريف ذلك الظرف الموضوعي علي إنه يعتبر بمثابة مشكلة إجتماعية إلا إذا صار هناك بعض أفراد المجتمع علي وعي بأن هذا الظرف الموضوعي يهدد قيمهم .

وعند إدراك العلاقة بين الظرف الموضوعي والمشكلات الإجتماعية – عند ذلك فقط – يمكن طرح المسألة للمناقشة العامة .

وفـي كثيـر من الأحيان يمكن لأي ظرف أن يمثل مشكلة إجتماعية لبعض أفراد المجتمع .

أيضاً يمكن أن يكون هناك عدم إتفاق شديد أو قوي علي تحديد كون الظرف مشكلة إجتماعية .

وذلـك لأن وجـود بعض الحقائق التي يمكن البرهنة عليها لا يمثل المشكلة الإجتماعية تمثيلاً كافياً ، وإنما يجب تفسير هذه الحقائق بأسلوب تحدد علي أساسه كمشكلة إجتماعية .

وعلي سبيل المثال فإن السيارات التي تجري في المدن قد تسببت في تلوث الهواء .

وقد قبل الأمريكيون هذا علي أنه أمر لا مفر منه .

وعـندما أصبح من الممكن التحكم في تلوث الهواء ، هنا فقط أصبح عادم السيارات يمثل مشكلة إجتماعية .

وهكـذا فـإن المشكلة الإجتماعية لا تستلزم فقط معرفة أن الظرف الموضـوعي قـد صـار بالفعل مشكلة إجتماعية ، وإنما تستلزم أيضاً الإيمان بأن هناك شيء ما يمكن عمله إزاء هذا الظرف الموضوعي .

وإذا كان من المتعسر تبديل الموقف من الناحية الفنية أوالإجتماعية ، فإنه هنا فقط يدخل في نطاق التحمل .

وهـناك بعـض الفـروق الثقافـية ذات المغزى في تقبل الظروف الموضوعية علي أنها مسائل لا مهرب منها أم لا ؟

أنماط المشكلات الإجتماعية :-

بـرغم تعـدد المشكلات الإجتماعية بين أفراد المجتمع ، فإن علماء الإجتماع قد إهتموا أساساً بمجموعة من هذه المشكلات بصفة خاصة .

ومن هذه المشكلات :-

١. مشكلة الفقر .

٢. مشكلة التوتر العرقي .

٣. مشكلة الجريمة .

ومـن الممكن أن نفرق بين المشكلات التي تتكون نتيجة الصعوبات التـي يواجهها الفرد عندما يحاول التكيف مع المجتمع ، وبين المشكلات التي تعود أساساً إلي أسلوب التنظيم الإجتماعي وعدم قدرته علي تناول المواقف الجديدة في المجتمع الحديث .

ومـن المهم هنا أن نذكر أن بعض المشكلات الإجتماعية التي تسود بدرجة كبيرة يتم تحديدها من خلال تكيف الفرد .

ومن هذه المشكلات مشكلات سن المراهقة ومشكلات الشيخوخة .

والـسبب فـي كون المراهقة مشكلة هو أن ذلك يرجع إلي أن جيل الكبار يجد إختلافاً محيراً بين ما هو متوقع وما هو مرغوب .

وكذلك الأمر في حالة الشيخوخة .

إذ أن هـناك مـشكلات تظهر وتتعلق بالناحية المالية بالنسبة لهؤلاء الأفراد بصفة خاصة .

ولكـن مـن المهم هنا أن نذكر أن الإهتمام الأكبر لعلماء الإجتماع ينـصب علـي مـشاكل الـسلوك الغير سوي ، أو بمعني آخر السلوك الإنحرافي .

وفـــي هـــذه الحالة فإن الإهتمام يتركز علي الأفراد الذين ينظر إليهم علـــي أنهـــم قـــد حادوا عن أساليب الفعل القائمة ، ومن ثم عن القواعد الإجتماعية في المجتمع .

وعلي الرغم من ذلك فإنه ليس من المفضل النظر إلي كل المشكلات علي أنها مشكلات تكيف فردي مع المجتمع .

إذ أن هناك مشاكل لا يمكن القول عنها بأنها مشاكل تكيف فردي مع المجتمع .

ومـــن هـــذه المشاكل ما يتعلق بالعلاقات بين الجماعات مثل مشاكل التفـــرقة العنـــصرية والمـــشاكل بـــين الإدارة والعمال ، وغير ذلك من المشاكل.

السلوك الغير سوي (السلوك الإنحرافي) :-

إن دراسة السلوك الغير سوي لها جذور متأصلة في الإهتمام المستمر بمشكلات الإمتثال ، والضبط الإجتماعي .

وقد كان الإهتمام الأكبر في بحوث البحث الإجتماعي خلال الخمسين سنة الماضية منصباً علي المجرمين والأحداث والبغايا .

وكـــان الإهـــتمام يتركـــز بـــصفة خاصة في الإهتمام بالخصائص السيكلوجية والأحوال البيئية .

وقـــد كانت دراسة الشخص المنحرف بصفة خاصة تبحث دائماً عن سبب الإنحراف الكامن فيه .

وقـــد كانـــت هـــذه الدراسات قائمة علي فرضية تقول بأن الإجرام موروث منذ الميلاد .

وعـــندما إســـتعانت الدراســـات بالمـــنظور الإجتماعي عوضاً عن المـــنظور البيولوجي الذي يركز علي الفرد والخصائص السيكلوجية بدأ إعتبار السلوك الإجرامي علي إنه سلوك مكتسب أكثر منه موروث .

والآن يـتم إعتـبار الأشـخاص المنحرفين علي أنهم نتاج لظروف إجتماعية ، أكثر منها ظروف بيولوجية .

ومـع ذلك فإن الجهود التي تم بذلها في هذا الأمر أخفقت في البرهنة علي ذلك .

وقد كانت بعض البحوث المتعلقة بهذا الموضوع متناقضة مع بعضها البعض .

ومـن الجهود التي ظهرت مؤخراً في مجال تحديد الإنحراف ، تلك التـي تـؤكد ضـرورة أن يركـز التحليل السوسيولوجي علي السلوك الإنحرافي أكثر من تركيزه علي سمات الشخصية المنحرفة .

ويقول (ألبرت كدن) :-

" إنـه لكي يتم بناء علم إجتماع للسلوك الإنحرافي ، يجب أن تكون هناك نقطة للرجوع ، وهي السلوك الإنحرافي وليس أنواع الناس .

والمهمـة الرئيـسية التي تواجهها هي التخلص من الفكرة المسيطرة علي التفكير السوسيولوجي بأن المنحرف هو الشاذ أو الباثولوجي .

وهؤلاء دائماً ما يتم تغليفهم في سلة واحدة " .

إنتهي كلام ألبرت كدن .

ومـن المهـم هنا أن نذكر أنه قبل أن يظهر أي منظور جديد كان (روبـرت ميرتون) (R.Merton) قد كتب مقالة أثبت فيها أن مصدر الإنحراف يعود إلي البناء الإجتماعي .

وقـد أثـبت أيـضاً في هذه المقالة أن البناء الإجتماعي يتسبب في لاإنحـراف عـندما تنفصل الأهداف المحددة ثقافياً عن الوسائل المجازة إجتماعياً من أجل تحقيق هذه الأهداف .

وذلــك لأن الأهــداف المحددة ثقافياً للنجاح مثلاً ، يتم تحقيقها عن طريق العمل الدؤوب والإنجاز التعليمي .

ولكــن من المهم هنا أن نذكر أن هذه الوسائل ليست متاحة بصورة متــساوية أمام الجميع ، وإنها لا تساعد حتى من يعمل بمشقة علي تحقيق النجاح .

ويرجع ذلك أساساً إلي التفرقة العنصرية .

ويقول (ميرتون) :-

" إن الإنحــراف الناشيء عن الإنفصال بين الأهداف والوسائل يمكن أن يأخذ واحداً من أربع صور مختلفة .

وهذه الصور هي :-

١. الطقوسية .
٢. الإنسحابية .
٣. التجديد .
٤. العصيان .

إنتهي كلام (ميرتون)

وقــد تكون الفائدة الأساسية في المقالة السابق ذكرها والتي أضافها (ميــرتون) إلــي التحليل السوسيولوجي هي أنها ركزت علي العلاقة بين الإنحراف والبناء الإجتماعي .

كمــا إنهــا قــد مهدت السبيل أمام أجيال جديدة من الباحثين في علم الإجتماع لكي يتحرروا وينطلقوا إلي إعادة تحديد السلوك الإجتماعي .

الخارجيون :-

قد تكون أكثر المجهودات الواعدة هي مقالة كتبها (هيوارد بيكر) .

وقد طرح (بيكر) في هذه المقالة منظوراً حديثاً ومتميزاً لدراسة السلوك الإنحرافي .

ولم يوافق (بيكر) علي المقولة التي تقول أن المجتمع عبارة عن مجموعة من المنحرفين .

ويقول (بيكر) :-

" إن الجماعات الإجتماعية هي التي تخلق الإنحراف من خلال صنع القواعد التي يشكل الخروج عليها إنحرافاً ، وبواسطة تطبيق هذه القواعد علي ناس معينين الذين يطلق عليهم إسم الخارجين علي القواعد .

ومن وجهة النظر هذه لا يعد الإنحراف خاصية للفعل الذي يرتكبه الشخص ، وإنما هو نتيجة لتطبيق الآخرين للقواعد والجزاءات علي المذنب " .

إنتهي كلام (هوارد بيكر)

وفي حقيقة الأمر فإن السلوك غير المستقيم ، أو بمعني آخر السلوك الإنحرافي ليس سلوكاً خاصاً فقط ببعض الأفراد ، ولكنه يمكن إعتباره خبرة يمر بها كل أفراد المجتمع .

إذ أنه من الطبيعي أن يرتكب كل أفراد المجتمع أفعالاً إنحرافية ، ويحدث هذا بصفة خاصة في مرحلة الصبا .

ومع ذلك فإن معظم أفراد المجتمع لا يقعون في خطأ إحتراف الإنحراف .

الثقافة الثانوية الإنحرافية :-

يهتم مفهوم السلوك الإنحرافي الذي قدمه (بيكر) بأسباب الإنحراف بالنسبة للفرد في المجتمع .

وهـــذا المفهوم لم يربط بين الأنحراف والإمتثال للقواعد الإجتماعية ربطاً محكماً .

ومـــع ذلك فقد كانت هناك تحليلات أخري إهتمت بأسباب الإنحراف فـــي المجـــتمعات المخـــتلفة التي يتسبب وضعها الهامشي في خلق ثقافة إنحرافية .

وهذه الجماعات لم تقبل ببعض القواعد والمعايير السائدة في المجتمع ، وجعلت لنفسها معايير خاصة بها .

أي إنها ثقافة فرعية إنحرافية .

المرض العقلي وعلاقته بالتصرفات الإنحرافية :-

تـــوجد بعـــض أنـــواع السلوك الإنحرافي التي لا تشتمل علي أساس الجماعة المنحرفة أو الثقافة الفرعية الإنحرافية .

ويمكـــن القـــول بـــأن المرض العقلي يمثل واحداً من هذه الصور للإنحراف .

وفـــي المجتمع الأمريكي فإن المرض العقلي ينتشر إنتشاراً كبيراً وهو يكلف الدولة أعباءاً مالية ضخمة .

هـــذا بالإضافة إلي صعوبة العلاج والجهد الكبير المبذول للتعامل مع المرضي العقليين .

ومـــن المهـــم هنا أن نذكر أن المستشفيات في الماضي لم تكن تقوم بالعلاج في حالات المرض العقلي ، وإنما كانت تقوم بدور تحفظي فقط .

وقـد كـان يتم حجز المرضي العقليين في هذه المستشفيات لكي لا يتسببوا في مشاكل داخل المجتمع .

وهكـذا كـان المرضي العقليين كانوا يعيشون بعيداً عن المجتمع ، وفي ظروف أمن مشددة كالسجون .

ويقول (جوفمان) (Goffman) :-

" إن المستـشفيات العقلية كانت بمثابة نظم إجتماعية شاملة تميز بها المجتمع الحديث ، وتقوم علي تحريك كتل من البشر من خلال روتين من النشاط وفق جداول محددة يساعد علي إستمرار السيطرة عليهم وإجبارهم علي الإمتثال لظروف مغايرة للحياة اليومية "

إنتهي كلام (جوفمان) .

وقد إستطاع بعض الباحثين في الخمسينات من القرن الماضي إيضاح أن بناء المستشفيات قابل للدراسة .

كمـا أوضحوا أيضاً أن التنظيم الإجتماعي الدافع لهذه المستشفيات يؤثر في فرص شفاء المرضي .

ونتيجة لذلك صار من المحتم إيجاد بديل لهذه المستشفيات .

وقـد حاول البعض أن يجد البديل في برامج خارجية للمرضي ، أو البقاء في البيت لنصف الوقت بالنسبة للمرضي غير القادرين علي التكيف مع المجتمع .

<u>أهمية المرض العقلي :-</u>

يقول الطبيب النفسي (توماس زاس) :-

" إنه ليس هناك وجود لشيء يطلق عليه مرض عقلي .

إنها أسطورة ، وما ننظر إليه علي إنه مرض عقلي ما هو إلا مشكلة في المعيشة " .

ويضيف (زاس) :-

" إن المرض العقلي ما هو إلا صفة تلصق بأنواع معينة من السلوك الإنحرافي .

حيث ينظر إلي هذا السلوك كشاهد غلي المرض العقلي .

ويستشهد بالمرض العقلي باعتباره سبباً لهذا السلوك " .

وهناك علاقة بين رأي (زاس) في أن المرض العقلي يمثل أسطورة ، وببين رأي (بيكر) في هذا المضمار .

ذلـــك أن المرض العقلي طبقاً لزاس يفترض وجوده عندما ينحرف أفراد المجتمع بطريقة مؤثرة من تفاعلاتهم مع الآخرين .

وطبقاً لزاس فإن وصف الشخص بأنه مريض عقلي هو لقب يضيفه الآخرون إليه .

وكمـــا هو الحال في حالات الإنحرافات الأخرى ، فإن الأفراد الذين يوصـــفون بهذا اللقب يقبلون ما يتصرفون كما لو كانوا في حقيقة الأمر مرضي عقليين .

لـــذلك فإن مشكلة المرض العقلي تعتبر بصورة جزئية مشكلة الأفراد الذين حددوها علي هذا الأساس .

أي إنها مشكلة تعريف .

وسيان الأمر إذا كانت هناك مشكلة إجتماعية أم لا .

وقـــد أثـــبت بعض الباحثين أن هناك علاقة دقيقة ودالة بين مختلف المشاكل الإجتماعية .

ومن المهم هنا أن نذكر أن هناك إجماع علي أن منح الأولوية لبعض المشاكل يتسبب في جعلها مشاكل رئيسية .

ويحدث هذا بصفة خاصة في مشكلات الجنس أو العرق أو الفقر .

كمـــا يحدث أيضاً في مشكلات الإنحراف والمرض العقلي والإدمان والإسكان والمواصلات والتلوث .

وكثيراً ما تحظي المشكلات الكبري باهتمام واسع النطاق في وسائل الإعلام ، وخاصة في التلفزيون والصحافة .

ومع ذلك فإن هذه المشكلات تصبح مشكلات رئيسية عندما يهتم بها صناع السياسة ، الذين يحاولون تطوير بعض البرامج للتغلب عليها .

لـــذلك فـــإن الهيئات الحكومية تمنح تمويلاً في صورة منح للبحث ودراسة هذه المشكلات الإجتماعية .

الفصل الثاني

مشاكل الإسكان في المناطق الحضرية

الفصل الثاني
مشاكل الإسكان في المناطق الحضرية

<u>تمهيد :-</u>

يمكـــن القـــول بـــأن واحدة من أهم المشاكل التي تجابه البشرية هي مشكلة النمو السكاني السريع .

والإحـــصائيات تشير إلي أن سكان العالم يزدادون بما يساوي مدينة مثل نيويورك كل شهر .

وتـــشير أيضاً الإحصائيات إلي أن السكان يزدادون بما يعادل سكان دولة مثل البرازيل كل عام ؛

أي سبعين مليون نسمة تقريباً .

ولـــيس معني هذا أن سكان العالم سوف يتضاعفون بعد عشرين سنة فقط ، بل يعني أيضاً أن البشر إذا أرادوا الحفاظ علي مستويات المعيشة الحالـــية ، فـــإن عليهم أن يبذلوا كل ما في طاقتهم لمضاعفة ما هو متاح الآن ، من تسهيلات وخدمات .

ويمكـــن القول بأنه إذا كانت هناك دولة متقدمة مثل الولايات المتحدة تعتـــرف بعجـــزها عـــن مضاعفة إنتاجها إلي الضعف في العشرين سنة القادمة ، فماذا يكون حال الدولة النامية .

وإذا كانـــت النبؤة التي قدمها (مالتوس) – وهي نبؤة تشاؤمية – لم تظهر بعد في كثير من البلدان المتقدمة ، فإن كثير من توقعاتها قد حدثت بالفعل وظهر في البلدان النامية والفقيرة .

وهناك إتجاه لازم النمو السكاني في العقود الأخيرة وهذا الإتجاه هو إنتقال السكان من المناطق الريفية إلي الحضر .

وفي هذا الإتجاه تترسخ العديد من مسببات المشاكل التي تواجه المدن والمراكز الحضرية الكبري .

وعلي سبيل المثال فإنه في الولايات المتحدة كانت جرائم العنف تماثل فـي حدتها مشكلات الإزدحام وتلوث الهواء والماء وعدم وجود حد أدني من متطلبات البنية الأساسية في معظم بلدان الدول الفقيرة .

وبـرغم كثـرة هذه المشكلات إلا أن المدن لا تزال تحتفظ بالجاذبية لأعداد هائلة من سكان الريف .

والسبب فـي الهجرة من الأماكن الزراعية إلي الأماكن الحضرية يكمن في عدم كفاية الأرض الزراعية وقسوة أحوال المعيشة .

أيـضاً فإن من هذه الأسباب البطالة الناجمة عن التوسع في الميكنة الزراعية .

ويمكـن القـول بـأن هذه الهجرة هي أهم حركة يشهدها العالم في العصر الحديث .

ولـيس من قبيل الحقيقة أن نقول أن الهجرة من المناطق الريفية إلي المناطق الحضرية هي ظاهرة جديدة .

ولكن الجديد في الأمر هو النمو المتفجر للمدن الكبرى .

ومـن المهم هنا أن نذكر أن التصنيع والتحضر هما من أهم السمات لحضارة العصر الحالي .

إذ أنهمـا يشكلان البيئة الطبيعية والبشرية التي يلزم أن يتكيف معها غالبية شعوب العالم .

تعدد جوانب مشكلة الإسكان :-

قـد يكـون أهـم ما تظهره ظاهرة " المسكن " هو أنها مشكلة ذات جوانب عديدة .

إذ أنهـــا تـــتخذ طابعاً إجتماعياً أحياناً ، وطابعاً إقتصادياً أحياناً أخري .

أيضاً فإنها في بعض الأحيان تأخذ شكلاً ثقافياً .

ويمكـــن القـــول بأنهـــا ظاهرة متشابكة تتصل بسلسلة من الظواهر والإهتمامات المختلفة بدءاً بمقدار دخل الفرد ، وإنتهاءاً بقضايا السياسة العامـــة ، ومروراً بعدد كبير من القضايا المرتبطة بمجال الصحة العامة والتنشئة الإجتماعية والصحة النفسية وغير ذلك من القضايا .

ولهـــذا فإنـــه من الواجب لدراسة هذه الظاهرة أن يتعاون فريق من الباحثـــين مـــن كافـــة التخصـــصات الإجتماعية والنفسية والديموجرافية والإقتصادية مع بعضهم البعض .

الإسكان مشكلة عميقة الجذور :-

مـــنذ زمـــن بعيد ، وعندما فقد الإنسان قدرته علي النوم في العراء أصبحت حاجته إلي مسكن من أهم إحتياجاته .

وقد صارت هذه الحاجة تلي الحاجة إلي الطعام في الأولوية .

وقد أبدع الإنسان في صنع المأوي الذي يحتاج إليه .

وقد إتخذ المسكن أشكالاً متعددة علي مر التاريخ .

وقد بدأ بالكهوف والأشجار ثم تطور الأمر إلي بناء أكواخ .

وبعـــد ذلـــك تعلـــم الإنـــسان أن ينشيء منازل من الحجر والطوب والخشب والحديد والأسمنت المسلح .

وقد إختلفت هذه المساكن في مقدار ما تتيحه لسكانها من رفاهية .

ومـــن المـــشاكل التي ميزت المدن والمراكز الحضرية مسائل سوء الأحـــوال الـــسكنية ، وإضطراب ميزان العرض والطلب علي الإسكان الملائم .

إذ أن آثار المدن القديمة تشير إلي أن الأكواخ الطينية كانت موجودة جنباً إلي جنب مع القلاع الفخمة والمعابد الكبيرة .

ومــن المهــم هنا أن نذكر أن مدينة قديمة مثل روما بالرغم من أن مبانيها قد صنعت من الرخام والمرمر إلا إن الغالبية العظمي من مبانيها كانت عبارة عن أكواخ ومساكن رديئة .

ويمكــن القول بأن الطبقات الوسطي في العصر الوسيط هي الطبقات التي تحسنت أحوالها السكانية .

أما الطبقات الدنيا فقد عانت من المشكلة السكانية إلي جانب معاناتها من مشاكل زيادة عدد الوفيات ، وإنتشار الأمراض الوبائية .

الإسكان من مشاكل المدن الحضرية :-

عــندما نتعمق في دراسة مشكلة الإسكان فسوف نواجه حقيقة هامة ، وهي أن المشكلة هي في حقيقة الأمر مشكلة حضرية .

أي أن هــذه المــشكلة تتعلق بالحياة في المدن الحضارية في المقام الأول .

أيضاً سوف نجد أن حدة المشكلة تختلف باختلاف ما وصلت إليه كل مدينة من حجم معين أو كثافة سكانية معينة .

والــسبب الرئيــسي في المشكلة يكمن في إزدحام السكان الذي صار سمة بارزة لمدينة العصر الحديث .

ومن الأمور النى زادت من تعقيد المشكلة القصور في عمليات النقل.

وذلــك لأن شركات النقل تحبذ أن تكون شبكاتها محصورة في مدي ضــيق لأن المسافات القصيرة تدر عليها ربح أكثر من الربح الذي تدره عليها المسافات الطويلة .

وهكـــذا فإن إزدحام السكان يستدعي بالتدريج طلباً كبيراً ومتزايداً علـــي الأرض ، وهـــذا يـــؤدي بدوره إلي زيادة أسعار الأرض بصورة كبيرة.

وهكـــذا فإن المشكلة تتمثل في زيادة معدلات التزاحم والتنافس علي الأرض .

كما تتمثل أيضاً في إرتفاع المباني ، وإرتفاع الإيجارات وغير ذلك.

وهناك بعض العوامل الأخرى التي تتمثل في :-

١. زيادة معدلات النزح أو الهجرة إلي المدن .
٢. سوء التخطيط والتنظيم .
٣. عدم كفاية القوانين المنظمة لعمليات البناء .
٤. طمع وجشع الملاك .
٥. إهمال المستأجرين .

النواحي الإجتماعية للمشكلة :-

كـــل من يعيش في المدن الكبري لديه قناعة بأن مشكلة الإسكان هي أهم المشاكل الملحة ، وأنها مشكلة إجتماعية بالدرجة الأولي .

ومـــشكلة الإســـكان تعتبـــر مشكلة رئيسية لأن لها تأثير مباشر علي الأسرة .

ويقول (براي) :-

" إن المكـــان الـــذي يـــسكن فـــيه الفرد يعد أمراً حيوياً في تكوين شخصيته ، وعاملاً مؤثراً علي صحته النفسية والجسدية والإجتماعية ".

وقـــد أوضـــحت دراسات عديدة أن هبوط الحيوية هو واحد من أهم أسباب الإكتئاب والإدمان .

كمــا أوضحت تلك الدراسات أن ظروف الإسكان الرديء تعتبر من الأسباب الرئيسية لهذه الأمراض الإجتماعية .

ويمكن القول بأن النظافة لا تقي الإنسان من الأمراض فحسب ، وإنما هي ضرورية لإحترام الذات أيضاً .

وليس من المتعسر تصور وجود صلة بين النظافة والصحة وإحترام الــذات مــن جهة وبين مدي توافر الظروف الإسكانية المناسبة من جهة أخري .

وهناك كثير من الأدلة علي ذلك .

وعلــي ســبيل المثال فإن هناك علاقة بين نسبة الوفيات – وخاصة وفيات الأطفال – وبين معدلات التزاحم السكاني .

وبالــرغم مــن وجــود أســباب أخري لوفيات الأطفال غير عوامل الإزدحام السكاني ، فإن ذلك الإزدحام له علاقة مباشرة بوفيات الأطفال ، وقد ثبت ذلك من خلال دراسات عديدة .

والأمر لا يقف عند زيادة معدلات وفيات الأطفال .

إذ إنه يتعدى ذلك إلي زيادة معدلات المرض بين الأحياء .

وقد أشارت بعض الدراسات بأن هناك علاقة وثيقة بين طول ووزن الطفل وبين حجم الحجرة في المنزل .

وقــد أثــار هذا بعض التساؤلات حول إمكانية تأخر نمو الطفل من جراء الإزدحام والتزاحم السكاني .

هــذا بالرغم من أنه في حالات أخري يكون تأخر نمو الطفل ناجماً عن عوامل أخري .

ويقول (لورانس فايلر) :-

" إن التزاحم السكاني يرتبط بانتشار الأمراض التناسلية ، **في** الوقت الذي يكون فيه عاملاً أكثر تأثيراً في المشكلات اللا أخلاقية التي تكشف عنها مناطق الإسكان السيء ، وذلك نظراً لإنعدام الخصوصية بين أفراد الأسرة ".

ويقول (تراشر) :-

" إن المساكن التي تأوي عصابات شيكاغو في المناطق المجاورة لخطوط السكك الحديدية والمصانع تقع حيث تقام المجاورات والأحياء المتخلفة ، ومناطق التحول والإنتقال التي تحيط بمنطقة وسط المدينة " .

ويقول (تراشر) أيضاً :-

" إنه بالإمكان تتبع البدايات الأولي لتكوين هذه العصابات في الأحياء المتخلفة من المدينة .

حيث يوجد عدد غير عادي وكبير من الأطفال المتزاحمين في مساحة محدودة ."

وقد يكون عدم إحترام القانون راجعاً إلي الذكريات الأولي لصبي كان يلعب في الشارع ويسكن في غرفة مكتظة ، وحيث تكون الشرفات المكتظة هي المتنفس الوحيد له .

ويقول (توماس آدمز) :-

" إن جلاسجو بما فيها من نسق نموذجي للنقل والصحة والحكومة المحلية هي مركز الإباحية في بريطانيا العظمي لسبب ظروف التزاحم السكاني والأحوال السيئة التي لازمت إسكانها " .

وقد يثار الشك حول مدي صدق نتيجة (آدمز) هذه ، ومع ذلك فإنه من المؤكد أن هناك علاقة بين سوء الأحوال السكانية وبين إنتشار الكثير من المشكلات الإقتصادية والإجتماعية .

وقد يكون أسوأ هذه الأمور هو إفساد المعنويات والأخلاق .

وهذا يؤدي بدوره إلي خفض القدرة الإنتاجية للأفراد .

والمناطق التي تعرف بإسم " الأحياء المتخلفة " في المدينة هي أكثر المناطق إستهدافاً للمشاكل .

ويقول (إليبون بيكون) :-

" لا أحتاج إلي الدخول في تفاصيل عن المناظر والروائح والإضطرابات التي لازلت أذكرها عندما ذهبت لخدمة أم مريضة .

لقد كان علي الأم أن تنزل الدرج المتهدم لكي تحضر الماء لإستحمام طفلها ، وأن تعبر دهليزاً مظلماً للحصول علي شيء يستحم فيه ، وتصعد الدرج لتسخين المياه .

وكان عليها أن تغلق النوافذ لإبعاد الروائح والذباب ، وأن تضع كرسياً خلف الباب لحجز الأولاد المتقاتلين .

وعندما عرفت أن زوجها قد هجرها ، فقد تعجبت كيف كان ينام في هذه الحجرة المزدحمة .

وعندما تذكرت أن الإبنة الجميلة قد أخطأت ، تذكرت أنها لا تستطيع أن تحضر أصدقاءها إلي المنزل ، ليصلوا عن طريق هذه السلالم القذرة إلي حجرة ضيقة حيث أبريق الغسيل وأكوام الملابس القذرة بجوار السرائر .

وكان علي الأسرة أن تقف مكتوفة الأيدي حيال خطأ الإبنة .

وعندما دخل الصبي الصغير محكمة الأحداث ، فإنني لم أتعجب من إصراره علي أن يظل يلهو في الشارع أطول فترة ممكنة ، قبل أن يزحف إلي الحجرة المزدحمة ، ويسقط علي الأرض لينام " .

لذلك يمكن القول بأن كل الظروف التي تحيط بمن يسكن حياً متخلفا تزيده شقاءاً وتبعث فيه الإحساس بعدم الرضا .

وذلك لأنه لا يجد لنفسه خصوصية ، وليس عنده غرفة يستريح فيها ليلاً أو نهاراً .

ما هي المشكلة :ـ

إن تعريفات مشكلة الإسكان تتباين وتختلف باختلاف الأولوية التي يتم إعطاؤها لبعض أبعادها وظروفها .

إذ إنهـــا يمكـــن أن ينظـــر إليها علي أنها مجرد موقف تسيطر عليه ظاهرة ندرة المسكن المناسب للأشخاص الذين يشعرون بالحاجة إليه .

وهكـــذا تـــصير المشكلة ناتجة عن نقص الإنشاءات السكنية الجديدة بسبب توجيه تشييدها إلي أغراض غير سكنية .

أيـــضاً فإن المشكلة تطفو علي السطح نتيجة التوقف كلية عن البناء نظراً لإرتفاع تكاليف العمالة ومواد البناء اللازمة .

أيضاً يمكن النظر إلي مشكلة الإسكان علي أنها تمثل تجسيداً واقعياً لإرتفـــاع قـــيمة إيجارات المنازل بصورة تفوق القدرة الشرائية للأفراد محدودي الدخل .

وهكذا تبدو المشكلة في صورة مسألة حضرية صرفة ، وخصوصاً وأن معظم سكان المدن هم من المستأجرين .

وقد تسببت هذه النظرة للمشكلة في بذل محاولات لتخفيض الإيجارات عن طريق القانون .

وقد أوضحت دراسات عديدة أن مشكلة الإسكان هي مشكلة إقتصادية فـــي المقـــام الأول ، وذلك لأنها ترتبط بصورة أساسية بمشاكل الأجور ومستويات المعيشة .

ويقول (**وود**) (Wood) :-

" إن مـــن أهم المتاعب الأساسية التي تواجه ساكن المدينة هي ندرة المساكن الصحية ذات المستوي اللائق ، والمقبول ، والتي تتناسب قيمتها الإيجارية مع دخول الفئات السكانية ذات الأجور المنخفضة " .

وقـــد تكمن الخطورة في هذه المشكلة في أنها موضوع يشمل العديد من المشاكل ذات الصلة بالصحة والأمن والأخلاق ، بل إن هذا الموضوع يمس كل مظاهر الحياة الإجتماعية .

ويقول (**لورانس فايلر**) :-

" إن المـــشكلة الـــسكنية هـــي مشكلة تمكين قطاع كبير من السكان يـــريدون العيش في وسط ملائم ، ومريح ويحرصون علي تربية أبنائهم وسط ظروف مناسبة .

وهي في نفس الوقت مشكلة منع الآخرين الذين لا يهتمون بمثل هذه الظـــروف ، أو الـــذين لا يقدرون علي تحقيقها من الإستمرار في إيجاد ظروف ، أو أحوال تعتبر تهديداً لجيرانهم وللمجتمع المحلي بأجمعه " .

وهكذا يمكن تعريف المشكلة السكانية علي إنها موقف غير مرغوب فـــيه يـــتم تحديده من خلال وجود شريحة من السكان في ظروف سكنية شديدة الخطورة تهدد الصحة والأخلاق .

ويمكـــن القول حسب هذا التعريف بأن المشكلة السكانية تواجه كافة مدن العالم تقريباً .

مستويات السكن :-

هناك عدة متغيرات تتحكم في مستويات الإسكان في أي مجتمع .

وهذه المتغيرات هي :-

١. التطور الإقتصادي .

٢. موقع الوحدات السكنية .

٣. مستوي دخل الأسرة .

فمـــن جهـــة فـــإن التطور الإقتصادي يلعب دوراً هاماً في تحديد المستوي السكني .

ومـــن المهـــم هـــنا أن نعـــرف شيئاً عن ما يعرف بإسم مستويات الإسكان.

لذلك يجب الإلتفات إلي حقيقتين هامتين وهما :-

١. من الممكن التفرقة بين ثلاث مستويات للإسكان وهي :-

١- المستوي الأدني :-

وهـــو يشكل نقطة محددة يجب علي أساسها إزالة الوحدات السكانية التي لا تصل إلي هذا المستوي .

٢- المستوي الأعلي:-

هـــذا المـــستوي يتم تحديده عن طريق القوانين الخاصة بالإسكان ، والتي تقوم بها الحكومات للنهضة بعمليات البناء والتشييد .

٣- ٣- المستوي الأمثل :-

الذي يعتبر هدفاً للسياسات السكانية تعمل علي تحقيقه .

٢. بالرغم من أن مهمة الإسكان الرئيسية تبدو في تقديم المأوي ، وتوفير مختلف التسهيلات التي تعطي الحياة المنزلية قدراً من الراحة والطمأنينة والأمان ، إلا إننا يجب عندما نتكلم عن المستويات السكانية أن نضع في إعتبارنا عوامل البيئة .

وتتضمن عوامل البيئة :-

١.الإستخدام العام للأرض .

٢.توفير متطلبات البنية الأساسية .

٣.الإهتمام بالمشاكل البيئية مثل التلوث علي سبيل المثال .

ومن خلال هاتين الحقيقتين التي سبق ذكرهما يتبين لنا أن المستويات الإسكانية هي محصلة لعدد من العوامل الإقتصادية والإجتماعية .

وهكـــذا فـــإن المشكلة تظهر كما لو كانت متعددة الأبعاد من ناحية ، ومشكلة نسبية من ناحية أخري .

المظاهر المتعلقة بالنواحي الإقتصادية :ـ

يمكـــن القول بإن الإسكان مشكلة إقتصادية في المقام الأول ، وذلك عكس المشكلات الحضرية الأخري .

بمعني أن الإسكان ينتج عن عدة عوامل إقتصادية مثل تكاليف الموقع ، والصيانة ... إلخ .

ومن وجهة النظر الإقتصادية فإن المستويات السكنية تعتبر مناسبة إذا كشفت عن ترابط علي المستوي القومي .

لذلك فإن عدم وجود تجاوب أو موافقة بين المستويين يمكن أن يتسبب في مشاكل كثيرة ، خاصة في الدول الفقيرة .

وتوجد أدلة كثيرة علي ذلك ،

وعلي سبيل المثال فإنه في آسيا فإن المستأجر الذي يستأجر غرفتين قـــد يؤجـــر إحداهما من الباطن لكي يزيد من دخل أسرته لذلك إتضحت الحاجـــة إلـــي تغيير النظم الخاصة بعمليات الإسكان في آسيا بما يجعلها تمضي في خط واحد مع الظروف الإقتصادية الحالية .

وتحـــاول الـــدول الأوربية في الوقت الراهن أن ترشد المعايير التي تتعين بمقتضاها مستوياتها الإسكانية .

وفـــي هذا المضمار نص معيار (كولن) (Koln) علي أن مساحة ٧٠ متراً هي أنسب مساحة للأسرة المكونة من خمسة أفراد .

ومـــع ذلـــك فإن معظم الدول الأوربية تظهر بصورة مستمرة تأثرها بمستوي إقتصادها القومي أكثر من تأثرها بالمعيار السابق .

وعلي سبيل المثال فإن دولة مثل إنجلترا تتخذ معياراً يخصص لكل أسرة مساحة تتراوح ما بين ٨٠ : ٩٠ متراً .

ومـــع ذلـــك فإن دولة مثل هولندا قد خصصت للأسرة مساحة تقدر بخمسين متراً فقط .

وقد قامت كل الدول تقريباً ببذل جهود مكثفة لإقرار معايير مفصلة تربط حجم الأسرة بعدد غرف النوم وبمساحة الإقامة .

ومن المهم هنا أن نذكر أنه عند تحليل الجوانب الإقتصادية لمستويات الإســكان ، فيجب أن نؤكد علي الدور الذي تقوم به هذه المستويات في ميدان تطوير السياسة الإسكانية .

وذلـــك لأن مـــن الخطورة بمكان عند تحديد المستويات السكانية أن يكون الإهتمام كله منصب علي مستوي دخل الأسرة ، والمثال علي ذلك مـــا حـــدث في مدينة كاراكاس في فنزويلا ، حيث قامت الحكومة ببناء مـــنازل ذات مـــستوي عـــال ، وخصـــصتها لأفراد ذوي مستوي دخل منخفض.

ونتـــيجة لـــذلك واجهـــت الإدارة المحلية للمدينة مشقة في تحصيل الإيجارات .

وهكذا فقد تبددت الأموال التي كانت مخصصة لإنشاء مساكن أخري جديدة .

أيضاً فإن الإعتمادات المالية التي تخصص لأغراض الإسكان تتأثر بالمستوي الإقتصادي للمجتمع .

لـذلك فـإن الدول الصناعية الكبري التي تحقق أعلي معدلات الناتج القومـي ، تظهـر وفـي نفس الوقت أعلي معدلات الإستثمار في مجال الإسكان .

الجـوانب الإجتمـاعية :-

لقد صارت عملية الطلب علي الإسكان المريح أكثر تخصصاً بحيث إقتصرت علي تحسين ظروف الإسكان بصفة عامة .

ومع أن هذا الطلب يختلف من مكان إلي مكان ، إلا إنه وفي ظروف الإسـكان الرديئة يصير الطلب علي إشباع المطالب والحاجات الأساسية مـثل الأرض أو إمـدادات المياه والصرف الصحي علي سبيل المثال ذا طابع عام وعالمي .

أيضاً فإن الطلب علي وحدة سكنية لكل أسرة لا يقتصر علي غرفة واحدة مستقلة تستخدم كحجرة للنوم ومكان لتناول الطعام في الوقت ذاته .

وقـد أوضـحت بعض الدراسات التي تم إجراؤها في البلدان كثيفة السكان أن توفير حجرة أخري لم يكن هو المطلب الأساسي أو المباشر .

وعلي سبيل المثال فإن دولة مثل ماليزيا تقدم لنا مثالاً علي المستوي المنخفض من الطلب المتخصص في معايير الإسكان .

وذلـك لأنـه بالرغم من توافر العديد من الغرف بالنسبة لكل وحدة سكنية ، إلا إن هذه الغرف كان لها أغراض متعددة .

وعلـــي ســـبيل المـــثال فإن المكان الذي كانت يستخدم تناول الطعام أو المعيشة كان يتميز بصغر حجمه ، بينما كانت غرف النوم متسعة بدرجة كبيرة .

أيضاً فإن التجربة اليابانية تمدنا بمثال علي الطب الأكثر تخصصاً .

ومع أن مستوي الإسكان في هذا البلد منخفض إلي حد ما (حيث أن الوحدة السكنية المعينة لأسرة عدد أفرادها خمس أفراد مساحتها ٤٥ متراً فقط) .

ولكن هناك ميل إلي ملكية السلع الإستهلاكية المعمرة .

أيضاً فإن الوضع بالنسبة لمستـأجري المساكـن في اليابان والذين يتميـزون بعلـو مستواهم التعليـمي ، قد تطلب أهمـية أن يكون هناك غرف للـنوم للآباء وغرف للـنوم للأبناء ، وغرفة لـتـناول الطـعام .. إلخ .

وقـد أدي ذلك إلي ضيق ملحوظ في مساحة الحجرات إذ أن متوسط مـساحة حجـرة النوم في اليابان هو ٨,٥ متراً فقط ، ومتوسط مساحة المطبخ هو ٧,٥ متراً .

لـذلك كـان هـناك شـعور بالإسـتياء من الأحوال السكانية لدي المستأجرين اليابانيين .

وقـد أوضحت بعض الدراسات أن الغالبية العظمي من المستأجرين يمـيلون إلـي أن تكـون الـوحدة السكنية ذات عدد أكبر من الحجرات الصغيرة ، أكثر من ميلهم للعدد الأكبر من الحجرات الكبيرة .

لذلك تم التركيز علي زيادة حجرات النوم .

ومع ذلك فقد زاد الطلب مؤخراً علي الوحدات الأكبر نتيجة إرتفاع مستوي المعيشة .

وقـــد يتـــسبب الإرتفاع قي مستوي المعيشة ، إلي جانب قلة مساحة الوحدات السكنية في سرعة إتجاه الأسرة الحضرية فيها لأن تصير أسراً نووية صغيرة .

وعلــــي العكس من الوضع في اليابان يجيء نوع الطلب الذي تقدمه دول أمريكا الجنوبية .

إذ أن نوعية الإسكان في تلك الدول تقترب من النوعية الأوربية .

ويظهر ذلك بصفة خاصة في مساحة المكان العام.بما في ذلك المطبخ ، وغرفة الطعام وغرفة المعيشة .

وهكــذا فإن النموذج السكني في هذه الدول يتقارب مع النموذج الذي حددتـــه إدارة الإســكان العـــام بالـــولايات المـــتحدة ، والنموذج الكندي والهولندي في الوقت ذاته .

بعض الظواهر الأيكولوجية :ـ

إن الإشباع السكني وملائمة الأحوال السكنية لا يتم قياسهما في حدود خصائص الوحدة السكنية فقط ، بل إن البيئة تتدخل في ذلك أيضاً .

والبيئة تشتمل علي عوامل إجتماعية وإقتصادية وأيكولوجية وطبيعية.

الصفات الأيكولوجية للوحدة السكنية :ـ

إن الطابع الأيكولوجي للوحدة السكنية ، يتم تحديده من خلال أكثر من مؤشر .

وعلـــي ســـبيل المثال فإن حجم الوحدة السكنية ليس له أهمية إلا إذا قورن بعدد الأفراد الذين يسكنون الوحدة السكنية .

أيضاً فإن هناك مؤشر الكثافة السكانية .

والمقصود بمصطلح الكثافة السكانية هو عدد السكان بالنسبة لمساحة مكانية معينة ، (الكيلو متر المربع علي سبيل المثال) .

وهذا المؤشر برغم من أنه يبدو ذا فائدة إلا إنه في حقيقة الأمر غير دقيق .

والسبب في عدم دقته هو أنه لا يأخذ في الإعتبار إختلاف معدلات الكثافة السكانية في التوسع الرأسي أو الأفقي عند إستعمال المساحة المكانية .

أما المؤشر الأيكولوجي الذي يمكن الإعتماد عليه فهو ما يطلق عليه مفهوم " التزاحم " .

إذ أن التزاحم علي الأرض يشير إلي قدر من تلاصق المباني في رقعة ما .

ويطلق العلماء الإنجليز علي هذا النوع من التزاحم مصطلح " زيادة الإسكان " .

وهم يشيرون بهذا المصطلح إلي الإلتصاق الشديد للمباني للدرجة التي لا يمكن معها إيجاد تهوية كافية ، ولا ظروف صحية ملائمة .

وهكذا تظهر الأزقة والحارات فتأخذ المنطقة شكل الحي الأقل تقدماً ، أو بمعني آخر " الحي المتخلف " .

أيضاً فإن هناك التزاحم علي مكونات الوحدة السكنية ، أي عدد الأشخاص الذين يحتلون كل غرفة .

وفي إنجلترا ينظر إلي الوحدة السكنية علي أنها مزدحمة إذا وصلت معدلات التزاحم فيها إلي شخصين لكل غرفة .

أيضاً فإن الوحدة السكنية المكونة من خمسة حجرات يمكن القول عنها بأنها وحدة مزدحمة إذا كان يشغلها عشرة أفراد أو أكثر .

وسوف نضيف هنا إضافة هامة تقول بأنه إذا كان الموضوع ليس موضوع حجم الوحدة السكنية طبقاً للمقياس الأول ، وليس موضوع

المعدل الكثافي طبقاً للمقياس الثاني ، فإن المشكلة هنا ليست في عدد من يحتل كل حجرة في الوحدة السكنية .

وعلـــي العكـــس مـــن ذلك ينبغي تحليل معدلات التزاحم من خلال التركيب العمري والنوعي لأفراد الأسرة .

المكان الأيكولوجي للمنطقة السكنية :-

يمكـــن القول بأن الموقع الأيكولوجي للمنطقة السكانية يتم تعيينه في ضوء التعرف علي أنواع إستخدام الأرض فيها .

ومـــن المهـــم هـــنا أن نذكر أن هناك ثلاثة أنواع رئيسية لإستعمال الأرض .

وهذه الأنواع الثلاثة هي :-

١. النمط الصناعي .
٢. النمط التجاري .
٣. النمط السكني .

وتنفـــصل المواقـــع المعيـــنة لكل نوع بخطوط محددة ، تفصلها عن بعضها البعض .

وكل موقع ينقسم إلي عدد من المواقع الفرعية طبقاً للطابع النوعي للنشاط الغالب .

ومـــثال ذلـــك هو إنقسام المواقع الصناعية إلي أماكن للتصنيع الثقيل وأماكن أخري للتصنيع الخفيف .

أيـــضاً فـــإن مواقـــع الأعمال تنقسم إلي أماكن للتجارة بالجملة أو التجزئة .

وكذلك فإن الأحياء السكانية تنقسم إلي مواقع راقية وأخري متخلفة .

وبصورة عامة فإن مواقع الأعمال تقع دائماً عند مركز وسائل النقل.

وكثيراً ما يكون هذا المكان في الموقع الجغرافي للمدينة بحيث يسهل الوصول إليه .

أما المواقع الصناعية فليس لها مكان معين مثل مواقع الأعمال .

وذلــك لأن إعــتماد المــناطق الصناعية علي النقل بواسطة السكك الحديدية قد أدي إلي تناثر المصانع في كل أقسام المدينة تقريباً .

أما بقية مساحة المدينة فيخصص للإسكان .

وعادة ما تنقسم تلك المنطقة السكانية إلي ثلاث مستويات .

وهذه المستويات هي :

1. **منطقة الإسكان الراقي .**
2. **منطقة الإسكان العادي .**
3. **منطقة الإسكان المتخلف .**

ومناطق الإسكان الراقي عادة ما تقع في أكثر أماكن المدينة تميزاً .

وهــذا التميز قد يكون من حيث التسهيلات والخدمات ، أو من حيث المقومات البيئية والفيزيقية .

أما مناطق الإسكان العادي فإنها تقع علي طول الطرق الرئيسية حيث توجد تسهيلات معينة في وسائل النقل .

أما مناطق الإسكان المتخلف فتوجد بالقرب من المناطق الصناعية .

وهــناك دور هــام للتصنيع في إستحداث مراكز سكنية فرعية علي الجهات والأطراف الخارجية للمدن .

وهذه المراكز عادة ما تبدأ في صورة بعض الأكواخ أو المساكن ذات المستوي المنخفض التي يقطنها عمال المصانع .

والسبب في ذلك هو رغبة عمال المصانع في السكن بجوار مقر أعمالهم لتوفير المال والوقت الذي كان سوف ينفق علي المواصلات .

ويقول (بارت) (Part) :-

" كلما طال يوم العمل ، وكلما تضاءلت الأجور ، كلما زاد إتجاه العمال إلي العيش بجوار المصنع " .

وهناك نوع آخر ينتمي إلي فئة الإسكان المتخلف ويظهر في المنطقة السكنية المجاورة لمركز المدينة .

ويسمي علماء الأيكولوجيا هذا النوع بإسم مناطق التحول والإنتقال .

وينكون هذا النوع من خلال عملية التطور التي تمر بها المدينة .

وذلك لأن تطور ونمو المدينة غالباً ما يؤدي إلي تغيير إستخدام الأرض من الأغراض السكنية إلي التجارة والأعمال .

وهذا يؤدي بدوره إلي عجز الأغراض السكنية عن منافسة المشروعات أو الأنواع الأخري من إستخدام الأرض .

ويتحدد الحجم الأمثل للمجتمعات السكانية من خلال موقعه بالنسبة لمركز المدينة .

لذلك قد تنال المجتمعات السكانية التي تتصف بانخفاض ظروفها القبول إذا كانت واقعة في نطاق المنطقة العمرانية أو بالقرب منها .

وتعتبر تجربة إنجلترا في ميدان تطوير المجتمعات السكانية الجديدة واحدة من أهم التجارب في هذا المضمار .

حيث إهتمت هذه التجربة بتطوير المدن الصغيرة وبالتوسع في المجتمعات الكائنة في الضواحي أو أطراف المجتمعات الحضرية الكبري.

وفي البداية كان هناك تحديد واضح علي ضرورة تقوية العلاقة بين المجتمعات الجديدة بالمناطق الريفية وبين المدينة الأم في ذات الوقت .

وفي الإتحاد السوفيتي السابق تم بناء ٩٠٠ مدينة جديدة عام ١٩١٨ .

وكانت بعض هذه المدن تتصف بأنها مجرد مجـتمـعات جـديـدة تماماً .

أما البعض الآخر فكان يتصف بأنه إمتداد لمستوطنات قائمة بالفعل .

وقـد وصـل حجم السكان في المجتمعات الجديدة إلي ما يقرب من نصف مليون نسمة .

بيـنما بلـغ عدد السكان في المناطق التي كانت تعتبر بمثابة إمتداد للمستوطنات القائمة بالفعل حوالي ٤٠ ألف نسمة .

وفـي الـولايات المـتحدة قامـت بعض الشركات الخاصة بتطوير مجتمعات سكانية علي نطاق واسع .

وقد كانت مدينة (إليفيتون) بولاية (بنسلفانيا) واحدة من أهم المدن التي تم تطويرها علي هذا النحو .

وقد وصل عدد سكان هذه المدينة أكثر من ١٢٠ ألف نسمة .

وهـناك مدينة أخري وهي مدينة (دون ميلز) قد أقيمت علي حدود مديـنة (تورنتو) ويصل عدد سكان هذه المدينة إلي ما يقرب من ٣٠٠ ألف نسمة .

وفـي ضـواحي مدينة (ستوكهولم) تم تشييد ما يقرب من عشرين مدينة سكنية متجاورة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٤ .

أيضاً فقد تم بناء خمس مدن أخري سنة ١٩٦٥ .

وقد كانت هذه المدن محل سكن لأكثر من عشرة آلاف نسمة .

وفـي السنوات الأخيرة تم إنشاء مدينة (فالينجـباي) التي يقطـنها ٢٥ ألف نسمة ، ومدينة (فارستا) التي يقطنها ٣٥ ألف نسمة .

ونتيجة للتطوير الذي شمل هذه المدن السكنية عبر العالم ، تم تحديد مفهـــوم المجتمع المحلي للمجاورة من خلال الرؤية الأيكولوجية بأنه ذلك المجتمع السكني الذي يضم ستة آلاف إلي عشرة آلاف نسمة ، والذي تقع في محيطه مدرسة إبتدائية وبعض المحلات التجارية والخدمية .

ويظهـــر بوضـــوح المغـــزى الأيكولوجـــي لمعني المجتمع السكني بالرجوع إلي مثال من إنجلترا .

إذ أنـــه في مدينة (هارلو) نجد أن الوحدة الأيكولوجية السكنية هي مجرد تجمع مما يقرب من ٥٠٠ وحدة سكنية .

وهذه الوحدات تشكل مجتمعاً غير رسمي .

ويتوافر في هذا المجتمع بعض المحلات التجارية التي تسد إحتياجات السكان ولوازمهم .

وهـــذه الـــتجمعات تـــرتبط ببعـــضها البعض لتشكل ما يعرف بإسم "المجاورة " .

وتـــرتبط هـــذه المجـــاورات ببعضها البعض لتشكل ما يعرف بإسم " المجاورات العنقودية " .

ثـــم بعـــد ذلك ترتبط المجاورات العنقودية ببعضها البعض لتشكل ما يعرف بإسم " المدينة الصغري " .

وعـــند كـــل مـــرحلة مـــن المراحل السابق ذكرها يتم تقديم مختلف التسهيلات الحضرية ذات الصلة بالمجتمع المحلي .

وهناك تجربة مماثلة تمت في فرنسا .

إذ حددت إحدي اللجان أربع مستويات من فئات المجتمع السكني .

وقد كانت هذه الفئات كالتالي :-

١. المجموعة السكنية التي تشتمل علي حوالي ٢٥٠ وحدة سكنية .
٢. المجـــاورة التـــي تشتمل علي ما يقرب من ٨٠٠ إلي ١٢٠٠ وحدة سكنية .
٣. الحي الذي يشتمل علي حوالي أربعة آلاف وحدة سكنية .
٤. المدينة الصغري

وفـــي الإتحـــاد السوفيتي السابق نلاحظ أن النمط الذي يمكن مقارنته بهذه المجتمعات السكانية هو عبارة عن عدد من التجمعات الصغري التي يقطنها ما بين ٧ آلاف وأربعة عشر ألف نسمة .

ويتم تخصيص مدارس وخدمات لهؤلاء السكان .

وهـــناك وحـــدات ســـكنية في الإتحاد السوفيتي السابق تلي الوحدات السابق ذكرها ، وهي عبارة عن تجمعات سكانية يقطنها ما يزيد عن ٥٠ ألف نسمة .

وهذه الوحدات تعتبر وحدات أساسية في المدن التي يبلغ عدد سكانها ما بين ١٢٠ إلي ٢٠٠ ألف نسمة .

ومن الجدير بالذكر هنا أن مفهوم التجمع السكني والمجاورة السكنية قد أظهر فكرة المجتمع المغلق بوضوح .

ومع ذلك فإن من الممكن لنا أن نري أن هناك مدخلاً جديداً قد بدأ في التوسع والإنتشار ويناقض تلك النظرة التقليدية .

ومـــؤدي هـــذا المـــدخل هـــو أنـــه من الخطأ محاولة تحديد الحياة الإجتماعية للسكان في إطار منطقة صغيرة ومحدودة .

أيـــضاً يجب أن توجه الجهود نحو تقديم العديد من الإختيارات بين طرق الحياة المختلفة .

ويقـوم هـذا المدخل علي نظرة تقول أن المدينة الحديثة هي مدينة مفتوحة .

وأن هـذه المدينة تتصف بكثرة فرص العمل والإتصال بين مختلف جماعـات الإسكان المخـتلفة ، وأنها – طبقاً لهذا – تستلزم أن يكون مركزها له صفة ديناميكية ، بحيث يجذب الأفراد .

ويعتبر هذا المدخل من أهم المداخل التي تبنتها مؤخراً كل من :-

١. فرنسا
٢. اليابان
٣. إنجلترا

وهكـذا يتبين لنا أن الوحدة السكنية ليست مجرد مكان للإيواء ، بل إنها تتضمن عدداً من المظاهر المختلفة التي تتصل بالقاعدة أو المجتمع السكني بصورة إجمالية .

ويرجع ذلك إلي أن الأسرة عندما تبدأ في " إستهلاك " المنزل ، فإنها تشتري أو تستأجر أكثر من المنزل في حقيقة الأمر .

إذ أن الأسرة تضع عدة أمور في إعتبارها ، ومن هذه الأمور :-

١. الصحة .
٢. الأمان .
٣. الخصوصية .
٤. العلاقات الإجتماعية .
٥. علاقات الجيرة .
٦. تسهيلات المجتمع المحلي .
٧. المواصلات .
٨. التحكم في البيئة .

ومعنـــي ذلك أن " الإسكان الرديء " يفتقد لواحد أو أكثر من الأبعاد السابق ذكرها .

ومن هذا المنطلق لم تكن هناك غرابة في أن تشهد السنوات الأخيرة تركيـــزاً شـــديداً علـــي مشكلة الإسكان من قبل العديد من التخصصات المختلفة .

كذلك لم يكن من المستغرب قبول الدعوة القائلة بوجوب تضافر جهود علماء النفس وعلماء الإجتماع ، ومن يعملون في مجال التخطيط والهندسة بعضهم مع البعض .

وقـــد أدي الإهتمام الشديد بعمليات التصميم إلي ظهور علم جديد هو علم " الإجتماع المعماري " (Sociology Of Artitecture)

ويهـــتم هـــذا العلـــم بدراســـة الظروف السكانية ، من خلال دراسة الإزدحام ، والعلاقة بالبيئة ، والتفاعل الإجتماعي .

ويقول (مرتون) (Marton) :-

" إن المـــشكلات الإجتماعـــية التـــي تـــواجه المتخصـــصين الفنيين والممارسين في مجال الإسكان مثل المعـــمارين والمقاولـــين والبنائـــين ، ومخططـــي المجـــتمع المحلي ، وغيرهم لا يمكن مواجهتها بكفاءة من خلال واحد من هذه التخصصات السابقة علي حدة .

وأنـــه علـــي الرغم مما قد يبدو أن القرارت الحاســـمة ، في هذا المجال ذات طابع إقتصادي أو معماري بحت .

إلا إن المـــشكلة الـــسكنية ذات جوانب مفتوحة ومتعددة بحيث تحتم دراستها أو معالجتها من منظور ما ، والإنفتاح علي المنظورات الأخري ، أو بعبارة أخري يحتم تعاون جهود مختلف المعنيين بالمسألة السكنية " .

ويقول (انجرست) (Angrestte) :-

" إن البحث الإجتماعي لا يقتصر بالضرورة علي جهود علماء الإجتماع وأعمالهم ، بل يتضمن جهداً تعاونياً من مختلف التخصصات ، كعلم النفس والأنثروبولوجيا ، وعلم النفس الإجتماعي ، والعمارة ، والتخطيط الحضري ، الأمر الذي يجعل من البحث في المشكلة الإسكانية بحثاً متداخلاً لتخصصات علمية مختلفة " .

ومع النمو السريع في حركة تطوير المجتمعات المحلية والتوسع في إنشاء التجمعات السكانية الحديثة ، بدأ دور علم الإجتماع ينال التقدير يوماً بعد يوم .

وقد حدث هذا بصفة خاصة نظراً لأن هذه المجتمعات الجديدة كان تطورها بمثابة ميداناً خصباً لإجراء العديد من الدراسات الميدانية والتجريبية حول ما يجب أن تكون عليه العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع المحلي ، وذلك بدلاً من التركيز فقط علي ملاحظة ودراسة ما هو قائم في حقيقة الأمر .

وقد شهدت الآونة الأخيرة ظهور العديد من الدراسات المتميزة في هذا الصدد .

وقد إهتمت هذه الدراسات بسلوك السكان سواء بالنسبة لمشاكل الإسكان أو بالنسبة للجهود التي يتم بذلها للقضاء علي تلك المشاكل .

مشكلة الإسكان في أوربا وأمريكا :-

تسببت الحرب العالمية الثانية في ظهور منظومة جديدة لمشكلة الإسكان في أوربا .

وأدت هذه الحرب إلي إيجاد ظروف حتمت زيادة تدخل الحكومات .

وفـــي حقيقة الأمر فإن فترة ما قبل الحرب شهدت نقصاً فعلياً في عـــدد المـــساكن الصغيرة ، وقد تزايدت شدة هذا النقص بسرعة ، نظراً لتزايد الأسعار .

وقــد كـــان هـــذا التـــزايد فـــي الأسعار راجعاً إلي بعض الأحوال الإقتصادية العامة التي أدت إلي زيادة تكاليف البناء .

هـــذا إلـــي جانب إستيعاب لقدر كبير من المساكن التي كانت متاحة نتيجة تحول وسط المدن الصغري إلي أحياء تتمركز فيها المصانع .

وقد أدي ذلك إلي زيادة الطلب علي المساكن .

لذلك فإنه عند نشوب الحرب العالمية الثانية فإن هذه الحرب قد قامت ومشكلة الإسكان موجودة بالفعل .

وبطبيعة الحال فإن الحرب أدت إلي التعجيل بالأزمة وزيادة حدتها .

وقـــد كان هناك تأثيراً بالغاً للحرب علي كل من الطلب والعرض ، فيما يتعلق بالنواحي السكانية .

وقـــد زاد الطلـــب بصفة خاصة عندما تدفق اللاجئون إلي المناطق والمدن التي لم تشهد قتالاً .

أيـــضاً فقـــد أدي التوســـع السريع في الصناعات المتعلقة بالنواحي العـــسكرية إلـــي جذب عدد كبير من العمال الزراعيين إلي المدن حيث يعملون في الصناعات الحربية .

وهكذا فإنه عند وصول الحرب إلي أكثر من ثلاثة سنوات ظهر نقص عـــام فـــي الإسكان ، كان من الصعوبة بمكان التخفيف من حدته نظراً لتوقف عمليات البناء .

وبالنسبة للمشكلة المتعلقة بالركود الخطير في صناعة البناء ، فتعود إلي بعض الأسباب التي تعلقت باستمرار الحرب .

فلقد تم إستدعاء عدد كبير من عمال البناء للخدمة العسكرية .

أيــضاً فقــد تــم إســتخدام كميات كبيرة من مواد البناء لأغراض عسكرية.

وقــد وصل الأمر إلي الحد الذي منعت فيه بعض الحكومات عمليات البناء لكي تتأكد من إستمرار تشغيل العمالة لأغراض الحرب .

أيضا فإن صناعة البناء قد واجهت مشكلة في رؤوس الأموال نظراً لتوجيه هذه الرؤوس للأغراض الحربية .

وقــد كانت الأرباح الناتجة عن الإستثمار في المجال الحربي عالية جداً .

لــذلك فقــد صار العائد القليل الذي كان يتم الحصول عليه من ملكية المنازل غير مضمون .

وفي بدايات الحرب كانت الدولة تعطي عدداً من الإعفاءات الخاصة للمستأجرين الذين كان يتم إستدعائهم للخدمة العسكرية .

وقد أدي هذا بدوره إلي قلة العائد الإيجاري للملاك .

وهكــذا فــإن صــناعة بناء المنازل قد أخفقت في جذب رأس المال اللازم .

وقد تفاقمت حدة هذه المشكلة بسبب حركة إنتقالات السكان التي تمت في أعقاب الحرب .

إذ أن عــودة الأســري والمتعلقــين قــد أدت إلي زيادة الطلب علي الوحدات السكنية .

أيضاً فإن التغيرات التي حدثت بعد الحرب مثل تكوين بلدان جديدة قد أدت إلي زيادة التنقلات بين بعض القطاعات السكانية .

إذا أن الــبعض قــد قام بالهجرة من تلقاء نفسه بينما تم طرد البعض الآخر .

ونتيجة لذلك فقد هاجر العديد من الأفراد من شرق أوربا إلي الغرب.

وهناك عامل آخر مهم .

وهذا العامل هو : الزيادة السريعة في معدلات الزواج .

وهذه الزيادة تعتبر ظاهرة طبيعية عقب كل حرب علي مدي التاريخ.

وعلي سبيل المثال فإنه في عام ١٩٢١ زاد الطلب علي المساكن إلي الضعف ، وذلك بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولي بسبب زيادة معدلات الزواج .

أيضاً فإن الزراع الذين عملوا في مجالات التصنيع الحربي أثناء الحرب ، لم تكن لديهم رغبة في العودة إلي إمتهان الزراعة كحرفة لهم بعد إنتهاء الحرب .

ومما زاد من تفاقم المشكلة أن حوالي ٣٥٠ ألف مسكن قد تم تخريبها بصورة كاملة أثناء الحرب ، بالإضافة إلي حوالي ٤٠٠ ألف مسكن قد تم تدميرها بصورة جزئية في المناطق التي كانت مسرحاً للعمليات القتالية .

وعلي سبيل المثال فإنه بعد الحرب العالمية الثانية ، كان المطلوب من المساكن في بلجيكا حوالي ٢٥٠ ألف مسكن .

أما في بريطانيا فقد وصل الطلب إلي نصف مليون مسكن .

وفي ألمانيا وصل الطلب إلي حوالي ٢ مليون مسكن

وقد كان من رأي الخبراء أن المسكن الآيل للسقوط هو الذي لا يمنح مأوي مأمون ، وذلك لوجود عيوب به تستدعي إعادة البناء .

ومن العيوب الأساسية في المنزل الآيل للسقوط :-

١. الثقوب

٢. التشرخات المفتوحة

وأخيراً فإن الإسكان الفاسد يتكون من منازل بها عيوب ، وتستلزم إلي إصلاح يزيد عما تستلزمه الصيانة العادية .

ولأن هذه المعايير السابق ذكرها تتركز علي المنازل نفسها ، وليس بمـــا يحـــيط بها ، أو طريقة إستخدامها لذلك يجب إضافة بعض العيوب الأخري .

ومن هذه العيوب :ـ

١. زيادة الإزدحام
٢. فساد الجوار
٣. الضوضاء
٤. الأدخنة
٥. نقص الخدمات الصحية
٦. نقص الخدمات التعليمية

وفي الولايات المتحدة ظهر تحسن واضح في النواحي السكانية خلال الأربعين سنة الماضية .

ومع ذلك فإنه لا يزال هناك بعض الصعوبات في هذا المضمار .

وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلي أنه هناك ٥ ملايين أسرة في الولايات المتحدة تسكن فيما دون المتوسط .

<u>ما هي المنطقة الحضرية ؟ :ـ</u>

إن تعريف المنطقة السكنية المتخلفة ليس هناك عليه إتفاق عام .

ويري بعض العلماء أن الحي المتخلف هو نموذج خاص للمنطقة غير المنظمة .

وهناك من العلماء من يري أن إصطلاح " حي متخلف " وإصطلاح " منطقة فاسدة " يحملان نفس المعني .

ولكن (كوين) يقول :ـ

" إن (الفاســـد) ينطـــبق علــــي كـــل من المناطق السكـــانية وغير السكـــانية ، بينما يقتصر مصطلح (المتخلف) علي المناطق السكنية فقط"

وأياً كان الأمر فإن الأحياء المتخلفة تتصف بأنها مناطق ذات أحوال سكنية منخفضة المستوي .

ومعني ذلك أن " الحي المتخلف " هو دائماً منطقة .

بمعنـــي أن المبنـــي المفرد ، مهما كانت درجة فساده ، لا يمكن أن يعتبر " حياً متخلفاً " .

ويقول (بيرجل) :-

" إنه من الناحية النظرية تعد كل المنازل التي بنيت قبل عام ١٩٠٠ ولـــم يـــتم تجديدها هي دون المستوي ، لأنها خلت من معظم التسهيلات الـــصحية الحديـــثة قـــبل نظم التدفئة المركزية والماء الساخن الجاري ، ودورات المياه الصحية ، والكهرباء .

ومن ثم تصبح في نظرنا حياً متخلفاً ، رغم إنها كانت عند إنشائها تعتبر منازل مرغوب فيها ".

وهناك قضية جدلية تثار حول " المناطق المتخلفة " .

وهذه القضية مؤداها :

هل الناس هي التي تصنع المناطق المتخلفة ، أم أن المناطق المتخلفة هي التي تصنع الناس ؟

وفي الحقيقة فإن الإجابة علي هذا التساؤل كثيرة ومتنوعة .

إذ أنـــه مـــن المعروف أن الأفراد ذوي الدخل المنخفض يعيشون في ظروف معيشية منخفضة .

ولكـــن ذلـــك لا يـــستلزم أن تـــتفق هذه الظروف مع أحوال " الحي المتخلف " .

بـــل علي العكس فإن كثيراً من المهاجرين من أمريكا الجنوبية علي ســـبيل المـــثال ، قـــد إعتادوا علي العيش في ظروف غير مقبولة وفقاً للأنماط الأمريكية .

وهكــذا يمكن القول بأن " الحي المتخلف " ، هو محصلة عدة عوامل مختلطة ، شأنه في ذلك شأن الظروف الإجتماعية الأخري .

ومع ذلك فإن الفقر يبقي هو العامل الأساسي في هذه المشكلة .

وذلــك لأن الــدخل المنخفض يضطر الأفراد إلي السكني في أحياء متخلفة .

وقد قامت بلدية مدينة نيويورك بإزالة منطقة سكنية متخلفة بالكامل ، ولكن بعد ذلك بعام عادت الأمور إلي ما كانت عليه .

وهــذا يوضح أن المشكلة هي محصلة تفاعل العوامل الإجتماعية ، والإقتصادية والثقافية معاً .

والمواقــف الإقتــصادية والسياسية لها دور كبير في تكوين الأحياء المتخلفة .

حــيث أن الــتاريخ يــؤكد علي أن عمليات التحضر والتصنيع في الولايات المتحدة كانت أسرع من مثيلاتها في أوربا .

وهكذا فإن العمال اليدويون قد هاجروا بأعداد كبيرة إلي المدن .

وأصبح لذلك من العسير منح العمال منازل حديثة .

ويقول (بيرجل) :-

" إن هناك ثلاث نماذج رئيسية .

وهذه النماذج هي :-

١- الحي المتخلف (الأصلي)

وهو مساحة تعتبر في الأصل متخلفة تتكون من مباني غير ملائمة .

وهــذه الأقـــسام لا يمكن معالجتها ، وتحتاج إلي أن تدمر تدميراً كاملاً .

٢- الــنموذج الثانــي مــن الأحــياء المتخلفة فيقع بسبب هجرة عائلات الطبقتــين الوسطي والعالية إلي مناطق أخري ، ولينتج عن ذلك فساد في المنطقة .

والمثل علي هذا منطقة " سوث إند " "South End" في بوسطون .

٣- أما النموذج الثالث والأكثر كآبه للحي المتخلف فهو أساساً ظاهرة من ظواهر الإنتقال .

فعـــندما تصبح الرقعة المكانية التي تحيط بمنطقة الأعمال فاسدة فإن الفساد الطبيعي والإجتماعي سرعان ما ينتشر .

وهذا النوع من الحي المتخلف يحتشد بفنادق رخيصة ، وأماكن يأوي إلـــيها المشردون ، والشحاذون ، والسكاري ، ومن ليس لهم مكان يأوون إليه .

ويقـــوم علـــي إدارة إقتـــصادها أصحاب الصالونات وأماكن القمار والمراهنين ومدمني المخدرات والقوادين والعاهرات .

وهذا النموذج من الأحياء المتخلفة يتحدي الإصلاح " .

إنتهي كلام " بيرجل "

ومن الناحية الطبيعية فإن الأحياء المتخلفة تتباين فيما بينها .

إذ إنهـــا قـــد تكون منازل ذات حجرة واحدة ، أو أحياء متخلفة ذات مساكن للإيجار ، أو أحياء بها منازل تصلح لأسرة واحدة .

أيضاً فإن المساكن تتباين من حيث حاجتها إلي الإصلاح .

إذ أن بعضها يحتاج إلي المستلزمات الأساسية مثل :-

١. التدفئة المركزية
٢. الحمامات
٣. دورات المياه الصحية

وهـــناك مـــساكن أخري لا تصلح للسكني علي الإطلاق ، وكان من المفروض ألا يتم بناؤها من أساسه .

أيضاً فإن بعض المساكن يكون مبنياً بصورة جيدة ولا ينقصه سوي بعض إجراءات الصيانة .

وهناك بعض مظاهر الإختلاف الأخري في مساكن الحي المتخلف .

إذ أن بعض المساكن تتسم بشدة الإزدحام .

وبعضها يقع في مواقع غير ملائمة .

وهذه المساكن يجب علي قاطنيها أن ينتقلوا إلي أماكن أخري .

أيضاً فإن هناك المنازل التي تفتقر إلي النواحي الصحية ومن الواجب إزالتها .

مشاكل الأحياء المتخلفة :-

يمكن القول بأن الأحياء المتخلفة هي من أكثر المناطق تكلفة .

والسؤال هو : ماذا يكلف أكثر ؟

هل هو الإبقاء علي المنزل المتخلف أم إزالته ؟

وقد كان من نتائج بعض الدراسات أن تكاليف خدمة المدن في الأحياء المتخلفة تفوق إيرادات الضرائب .

أي أن دافعي الضرائب في الأحياء الراقية عليهم أن يدفعوا بعض المال لسكان الأحياء المتخلفة .

أيضاً فقد ظهر من خلال هذه الدراسات أن كل المساكن ذات الإيجار المنخفض تدفع ضرائب أقل مما يصل إليها من خدمات البلدية .

أيضاً فإن نفقات النظافة وجمع القمامة تتكلف أكثر في مناطق الإسكان المتخلف .

وهناك حاجة إلي وجود عدد أكبر من الموظفين في المناطق المتخلفة.

ويرجع ذلك إلي الآتي :-

١. الإشراف علي المنازل المنهارة

٢. إزالة المباني المتهدمة

٣. إزالة النفايات

٤. تهجير السكان وإعادة إسكانهم .

وبالرغم من أن الإنفاق علي المساكن المتخلفة يعد مسألة جوهرية ، إلا إنـــه يتـــزايد من خلال نفقات أخري تنتج عن الظروف الغير ملائمة للأحياء المتخلفة .

إذ أن السجون والمستشفيات تكتظ بأعداد من ساكني الأحياء المتخلفة.

ومـــشكلة الأطفـــال اليتامي والمشردين تؤدي إلي مزيد من الأعباء المالـــية نظراً للحاجة إلي إعتمادات مالية يتم دفعها إلي قضاة وموظفين وإخـــصائيين إجتماعيـــين ، وإداريـــين وغيـــرهم من العاملين بالهيئات الحكومية والبلدية .

ومـــن الـــصعب جـــداً تقدير النفقات التي يجب تخصيصها للأحياء المتخلفة .

إذ أن كـــل حالـــة مـــن حالات الإسكان المتخلف تختلف عن الحالة الأخري .

وعلـــي ســـبيل المثال فإن حوادث الإنتحار تكثر في الأحياء المتخلفة أكثر من حدوثها في أي مكان آخر بالمدينة .

أيـــضاً فـــإن حـــالات الإضطراب العقلي تزداد أيضاً في الأحياء المتخلفة بالمدينة .

ورغـــم أن الدراســـات أثبتت أن مرض إنفصام الشخصية ينتشر في مـــناطق مخـــتلفة من المدينة ، إلا إن هناك أدلة علي أن الأشخاص ذوي الميول الإنفصامية ينجذبون إلي مناطق التحول والإنتقال علي نحو مميز .

وهـــناك دراســـات أكـــدت أن الجريمة والرذيلة والأمراض التناسلية تتواجد في الأحياء المتخلفة بدرجة أكبر من أي مكان آخر بالمدينة .

ويمكـــن القـــول بأن حالات الباثولوجيا الإجتماعية تؤثر فيها عوامل متعددة .

ومع ذلك فإن الحي المتخلف يلعب دوراً مساعداً إن لم يكن رئيسياً .

ومن الناحية النظرية فإن إختفاء الأحياء المتخلفة كفيل بأن يقلل من معدلات الجريمة والإنحرافات السلوكية والتشرد ، والأمراض العقلية والجسمية .

وهو كفيل أيضاً بتخفيض النفقات التي يتم توجيهها إما لمنع هذه المشاكل أو لإصلاح ما ترتب عليها من مشاكل .

والباثولوجيا الإجتماعية من أهم مظاهرها وجود عصابات الأحداث التي يعيش أفرادها في الحي المتخلف ، برغم أن قادة هذه العصابات عادة ما يعيشون في مناطق راقية .

وبطبيعة الحال فإن مواجهة الأنماط السلوكية الإنحرافية لهذه العصابات تستلزم تخصيص مبالغ باهظة .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الفساد الواضح للمساكن – برغم كونه صفة مميزة للأحياء المتخلفة – إلا إنه لا يمثل مشكلة في حد ذاته بصورة كبيرة .

إذ أن هناك عوامل أخري تتسبب في المشكلة بعيداً عن المباني والمنشئات .

وهكذا يصبح من الضروري إزالة الحي المتخلف .

ولكن ذلك يستلزم إجراء عدة إجراءات مختلفة ومتنوعة ، لأن هناك نماذج متعددة من الأحياء المتخلفة .

لذلك يجب أن يكون العلاج ماثلاً حسب النموذج الذي يندرج تحته الحي المتخلف .

وقبل إزالة الحي المتخلف يجب تحديد المنطقة .

إذ أن الأحياء المتخلفة في مناطق التحول والإنتقال تحتاج إلي أن يتم إدراجها حسب التحديد المناسب للمنطقة.

ويمكـــن القـــول بأن المنطقة الوسطي ، أو منطقة الأعمال المركزية يجـــب أن يتم تحديدها بوجود المحلات والفنادق والمسارح ودور السينما بها .

أيضاً فإن إزالة المنشئات الصناعية الكئيبة التي تسهم في هذا الفساد تعتبر أمراً لابد منه في كثير من الأحيان .

وأماكن اللهو الرخيص – مثل نوادي القمار – يجب أن تزال أيضاً من وسط المدينة .

وبطبـــيعة الحـــال فإنه من شأن هذه الإجراءات تقليل عدد النازحين إلـــي مـــنطقة وســـط المدينة ، خاصة وأن نزوح هؤلاء العناصر الغير مرغوب فيها إلي وسط المدينة يساعد في إفساد المناطق المجاورة .

وقـــد يكون من المهم في بعض الأحيان إتخاذ إجراءات أشد صرامة مـــثل تحديد عدد المنازل التي تؤجر بالحجرة الواحدة ، وعدد شاغلي كل حجرة .

ومـــن المهم هنا أن نذكر أن الأفراد المصابين بالتفكك الإجتماعي ، مـــثل المجرمين المعتادي الإجرام ، والذهانيين يحتاجون في المقام الأول إلي العلاج أكثر من إحتياجهم لتعليمات بناء .

وفي بعض الأحيان تقوم بلديات المدن الصغيرة بطرد هؤلاء الأفراد إلـــي أماكن أخري ، ولكن هذا الإجراء ليس ذا نفع كبير ، لأن المشاكل تنتقل إلي المكان الجديد وتتأصل هناك .

وفي رأي البعض فإن الحل يكمن في الإهتمام بالمشكلة علي المستوي القومي .

بمعنـــي القـــيام بأخذ المشردين من الشوارع ، ونقلهم إلي مؤسسات العلاج وليس السجون .

وقـــد يلاحظ البعض أن عدداً كبيراً من المشردين في الشوارع هم في الحقيقة أشخاص مصابون باضطرابات عقلية شديدة .

وهؤلاء الأفراد يجب وضعهم في مؤسسات علاجية .

ومع ذلك فإن الجرائم وإنحرافات السلوك في مناطق الإسكان المتخلف كثيراً ما تفتقر إلي أدلة ، لذلك لا يقع مرتكبوها تحت طائلة القانون أحياناً .

وعلي سبيل المثال فإن تجار المخدرات في هذه المناطق عادة ما يكونون علي قدر كبير من الحذر بحيث يصبح الإيقاع بهم شبه مستحيل .

أيضاً هناك المقاومون للسلطة والمجتمع – وأعني بهم قادة الإجرام .

وهؤلاء الأفراد عادة ما يعيشون في أرقي أحياء المدينة ، بالرغم من أن أتباعهم يعيشون في معظم الأحيان في الأحياء المتخلفة .

لذلك يجب فرض بعض الإجراءات القانونية الجديدة قبل إمكانية حل هذه المشكلة حلاً جذرياً .

ومن الجدير بالذكر إنه من الممكن إصلاح آلاف المنازل الكائنة بالأحياء المتخلفة عن طريق بعض الإجراءات الإدارية ، أو القضائية ، ودون أن تتكلف بلديات المدن مبالغ باهظة .

ومن المؤكد أن السبب الإقتصادي الرئيسي وراء مشكلة الإسكان المتخلف يكمن في عدم قدرة سكان الأحياء المتخلفة علي دفع إيجارات مساكن أرقي .

وقد تم تقسيم المناطق المتخلفة إلي النماذج الآتية :-

١- الأحياء المتخلفة التي لا أمل فيها :-

يقول (شارلز ستوكس) :-

" إن هناك مظهراً هاماً للمناطق الميئوس منها ، وهذا المظهر يتضح في الأماكن التي يأوي إليها الفاشلون في المناطق المتخلفة الميئوس من إصلاحها .

إذ أن هـــذه المناطق تعتبر ملاذاً يلجأ إليه من لفظتهم المدينة ، ومن هـــم غيـــر قـــادرين لإسباب إجتماعية أن يشاركوا في علاقات إجتماعية عادية.

وهم "هؤلاء الذين إنهزموا في المجتمع " .

إنتهي كلام (شارلز ستوكس)

والأفراد الذين يعانون من مشاكل التفرقة العنصرية كثيراً ما يجدون أنفسهم مضطرين إلي السكني في هذه المناطق الميئوس من إصلاحها .

والمـــنازل فـــي هذه المناطق تمتليء بالحشرات والهوام ولها رائحة مقززة .

٢- الأحياء المتخلفة القابلة للإصلاح :-

يعتبـــر الـــنوع الثاني من مساكن الأحياء المتخلفة هو هذا القسم من السكان الذين لهم خلفيات ثقافية لا يوافق عليها المجتمع .

وتعتبـــر أمـــاكن سكني هؤلاء الأفراد مناطق مأمول فيها أو مناطق للأمل Slums Of Hope .

ويقـــيم الـــسكان الجـــدد ذوي الدخل المنخفض في الأحياء المتخلفة المأمول فيها ، ومع ذلك فإنه في معظم الأحيان يكون لهم مهارات تؤهلهم إلي دخول المجتمع الكبير .

وقـــد كـــشفت دراسات عديدة عن أن هؤلاء الأفراد عادة ما يكونون أكثر قابلية للتعلم ، وأكثر مقدرة علي تحقيق النجاح .

ويمكـــن القـــول بأن منطقة " Lower East End " في نيويورك ، والتـــي ينـــزح إليها اليهود الأوربيون تعتبر مثالاً لحالة الحي المتخلف المأمول فيه .

وقد إستطاع اليهود الذين يقطنون حي مانهاتن في نيويورك عن طريق إستغلال المدارس الصغيرة ، والدخول في الأعمال الصغيرة أن يدخلوا أخيراً في منطقة جوار " برونكس " (Bronex) التي يقطنها سكان من الطبقة الوسطي .

كيفية حل المشكلة :-

سنحاول الآن أن نحلل بعض جوانب مواجهة المشكلة في العالم الثالث ، والدول المتقدمة . .

أولاً : السياسات الإجتماعية ومشكلة الإسكان :-

إن معظم الدراسات التي تتناول مشكلة الإسكان تميل إلي أن يكون لها شكل إحصائي .

إذ أن تقاريرها تمتليء بالجداول الإحصائية في معظم الأحيان .

وبالرغم من قيمة هذه الدراسات وفائدتها ، إلا إنها تفتقرإلي بعد هام، وهو الوظيفة الإجتماعية للإسكان .

أيضاً فإن هذه الدراسات تفتقر إلي معرفة ما يترتب علي مشكلة الإسكان من نتائج إجتماعية .

وفي بعض الأحيان يركز المهتمون بالسياسات السكانية علي النواحي الإدارية ، دون أن يأخذوا في إعتبارهم الخصائص الوظيفية التي لا تخضع لمقاييس فنية ، أو إدارية .

وفي حقيقة الأمر فإن التصدي للمشكلة السكانية يتأثر بجوهر السياسة الإجتماعية التي ينتهجها المجتمع علي المستوي القومي .

والمسألة تتجاوز حدود عدد الوحدات السكنية المتاحة ، أو عدد الغرف إلي توفير المسكن الملائم لكل شخص .

أي أن الأهمية الأولي هي أن يعيش كل شخص في مسكن ملائم .

وهـــناك علاقـــة مؤكدة بين السياسة الإجتماعية في مجال الإسكان ، ومرحلة النمو الإقتصادي للمجتمع .

لـــذلك فـــإن هـــذه الـــسياسة يجـــب أن تأخذ في إعتبارها العوامل الإقتصادية.

وفـــي بلـــدان الـــرفاهية – أي البلدان ذات الإقتصاد القومي – يقل الإعتماد علي السلطة المحلية فيما يتعلق بالحصول علي مسكن ملائم .

وقد أدي هذا إلي ميل متزايد نحو شراء المسكن المناسب للأسرة .

ومع ذلك فإن هذا يحدث علي نطاق ضيق .

وعلي سبيل المثال فإنه في (ميلتون كينيز) (Melton Keneyes)

كان هناك العديد من الخطط للمدين الجديدة .

ويبلغ عدد سكان هذه المدينة أكثر من مليون ونصف المليون نسمة .

ومـــن هـــذه الخطـــط أن يـــتم عرض نصف الوحدات السكنية للبيع والنصف الآخر للإيجار .

ولكن كان من الصعب تحقيق ذلك .

وذلك لقلة عدد من يستطيع شراء الوحدات السكنية .

حدث هذا برغم مضاعفة الجهود لتسويق الوحدات السكنية للبيع .

وبالرغم من أن كثيراً ممن عجزوا عن شراء الوحدات السكنية كانوا قـــادرين علـــي إستئجار الوحدات السكنية بقيمة إيجارية تعادل إيجارات الإسكان العام المدعم ، إلا إنه كانت هناك نسبة كبيرة لا تستطيع ذلك .

وهكـــذا يتضح لنا أنه في الدول المتقدمة هناك فجوة بين أكثرية من الأغنياء وأقلية من الفقراء .

وهـناك علاقـة مـؤكدة بين السياسة الإجتماعية الناجحة في مجال السـكان ، وبين طبيعة الظروف والأحوال النفسية ، والإجتماعية للأفراد في المجتمع .

إذ أنه من الواجب أن تضمن تلك السياسات تحقيق قدر من التنوع في عدد ونوعية الوحدات السكانية التي تقدمها .

ومن المهم هنا أن نشير إلي العدد الكبير من الدراسات المسحية التي أجريت للتعرف علي ما يفضله الأفراد من مسكن له خصائص معينة .

ومثال علي ذلك الدراسات التي تم إجراؤها عن طريق مركز بحوث الرأي العام ، وشركة (روانتري) للتأمين الإجتماعي .

وقد كانت هذه الدراسات تحت إشراف

(**كولنج وورث** (Culling Worth)

وقـد أوضحت هذه الدراسات أن هناك ميلاً متزايداً في الرغبة في العيش في مسكن أكثر من الميل إلي العيش في شقة بها عدة أفراد .

وهـناك مثال آخر لهذه الدراسات ، ونعني بها البحوث التي أجرتها وزارة الإسـكان ، والحكـم المحلـي ، فـي مقاطعـة (كوفنتـري) (Coventry) ، والتي أشارت إلي أن بعض السكان يميلون إلي السكني في مساكن ملحق بها مكان للسيارات ، ليس بسبب وجود سيارات ، وإنما لإستخدام هذه الأماكن كإمتدادات أو ملاحق إضافية للوحدة السكنية .

وهناك دراسات أخري قد نوهت بأهمية مراعاة المضامين الإجتماعية المرتبطة بالمسألة السكانية .

أيـضاً فقـد كانـت هناك دراسات نوهت بأهمية مراعاة التخطيط الإجتماعي علي نطاق واسع .

لـذلك كان يجب علي الحكومات عندما تتصدي للمشاكل السكانية أن تـضع نـصب أعينها أساسيات التخطيط الإجتماعي ، وأن تهتم بتوضيح الأغـراض والأهـداف الإجتماعـية سواء فيما يرتبط ببرامجها الخاصة بالإسكان العام ، أو ما يرتبط بتعاونها مع القطاع الخاص .

أيـضاً فإن هذا الهدف لا يتوقف عند حد السلطة العامة ، بل يعتبر فـي حقيقة الأمر نطاقاً أساسياً يتحدد من خلاله كل ما يقوم به العاملون من أنشطة ، في ميدان التخطيط الفيزيقي ، وذلك إذا أردنا أن نضمن أن ينشأ الإسكان علي أساس إجتماعي سليم ، وبالصورة التي تقابل إحتياجات السكان .

وهكذا يمكن تحديد مهمة جديدة لعالم الإجتماع يستطيع من خلالها

– كـباحث أو منظـر إجتماعـي – أن يكشف الجوانب الإجتماعية والنفسية فيما يختص بالمشكلة السكانية .

أيضاً فإن عالم الإجتماع يمكنه أن يقدم الكثير للمهندس المعماري في مجال التصميم .

وإذا كـان المهندس المعماري يهتم بإقامة المشروعات الإسكانية في أماكن لم يتم بناؤها بعد ، فإن عالم الإجتماع يجد من صميم عمله توجيه المعمارين من خلال تفهمه الواعي لأنماط السلوك ودوافعه .

وبالرغم من أننا ندعو إلي مسايرة روح البحث العلمي المعاصر .

ومع إننا ندعو إلي مبدأ " عمل الفريق " مع ما يقوم عليه من عقلانية ، إلا إنـه للأسـف لا تـزال عمليات التخطيط الإجتماعي أموراً غير معـروفة أو مدروسة من جانب العديد من الهيئات المنوط بها حل مشاكل الإسكان .

أيــضاً فــإن ما يجب علي علماء الإجتماع القيام به مازال قاصراً علي العمل الأكاديمي .

وقــد أدي هــذا إلـــي أن تكون مشاركة علماء الإجتماع في عمليات التصميم هي نوع من التطفل ليس أكثر .

أيــضاً فإنه لو تم تحديد الأهداف الإجتماعية لمشروعات الإسكان ، فإن تحقيق مثل هذه الأهداف يعتبر أمراً عسيراً .

وبطبــيعة الحـــال فــإن هذا يؤدي إلي وجود إزدواجية بين الهدف والإنجــاز ، ســواء كـــان ذلــك علي مستوي الإسكان العام أو الإسكان الخاص.

ومـــن الأدلـــة علـــي ذلك ما يحدث أحياناً ، عندما تؤدي الضغوط السياسية إلي أن يقوم الإسكان العام عدداً كبيراً من الوحدات السكنية في خلال فترة زمنية قصيرة .

وهذا الأمر يتعارض بطبيعة الحال مع مقتضيات السياسة الإجتماعية التي تحتاج إلي وقت أطول .

أيضاً فإنه عندما يتدخل القطاع الخاص في حل المشكلة فإنه يعرض وحـــدات سكنية ذات مستوي معين ، تاركاً للحكومة حل المشكلة بالنسبة للفقراء .

ومـــن الأمـــور البديهية أننا لا نتوقع أن يقوم القطاع الخاص بتحقيق الأهداف الإجتماعية ، لذلك يجب علي السلطات أن تضع الحدود والأطر التي يمكن من خلالها تحقيق تلك الأهداف .

كمـــا يجـــب علي السلطات أيضاً أن تشجع القطاع الخاص علي أن يوسع دائرة إسهامه في تحقيق الأهداف الإجتماعية للإسكان .

وعملـــية تطبــيق الأهداف الإجتماعية للإسكان تختلف بطبيعة الحال بإختلاف الحالة التي يتصدي لها الباحث .

أي إنهـــا تختلف باختلاف ما إذا كانت موجودة في مدن جديدة ، أو مدن قائمة بالفعل .

وذلك لأنه في المدن القائمة بالفعل ، فقد صارت الأهداف الإجتماعية مهملـــة إلـــي حـــد كبير ، نظراً لضرورة إعادة إسكان أعداد كبيرة من السكان في أماكن عالية القيمة (من ناحية ثمن الأرض) .

لـــذلك فإنـــه لا يوجد بديل عن التوسع الرأسي وليس الأفقي في بناء الوحدات السكنية .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الكثير من الوحدات السكنية التي تقدم علي هذا النحو كثيراً ما تكون بعيدة عن مكان العمل ، بالنسبة لمعظم السكان.

كمـــا إن تلـــك الـــوحدات الـــسكانية عادة ما تكون بعيدة عن مراكز الخدمات أيضاً .

فـــإذا أضـــفنا أن معظم السكان ليس لديهم الخبرة في إختيار الوحدة الـــسكنية المناسبة ، فإن معني ذلك أن أهداف السياسة الإجتماعية ليست أكثـــر مـــن مجـــرد عملية بيروقراطية بحتة ، تحكمها بعض الإعتبارات البعيدة عن المتطلبات النفسية والإجتماعية للسكان .

لذلك فإنه من اللازم عند محاولة حل مشكلة الإسكان في المدن القائمة بالفعـــل ، أن يكون هناك تخطيطاً لتكامل الإسكان مع مختلف التسهيلات الإجتماعية والتعليمية والتسويقية والترويحية التي يحتاج إليها السكان .

وعلـــي العكس من الوضع في المدن القائمة بالفعل ، فإن فرص حل مشكلة الإسكان تكون أوفر في المدن الجديدة .

وقــد يرجع ذلك إلي أن المدن القائمة بالفعل عادة ما يكون بها أحياء متخلفة وأماكن خربة تعوق عملية بناء مساكن ملائمة في تلك المدن .

وكثيــراً ما يكون هناك عدد من الوحدات السكنية القديمة في المدن الجديدة .

ولكن هذه الوحدات قد يكون لها فائدة .

إذ أن تلـــك الوحدات تقدم المنزل الرخيص لمن لا يستطيعون شراء منازل جديدة .

ومن المهم هنا أن نذكر أن رخص سعر الأرض في المدن الجديدة – بالمقارنة مع سعر الأرض في المدن القائمة بالفعل – يجعل هناك فرصة للأسرة لإقتناء منزل فسيح .

ومـــع ذلـــك فإن المساكن في المدن الجديدة لها مشاكلها الخاصة بها أيضاً .

وتحـــاول الـــسياسات السكانية بوجه خاص ، والسياسات الإجتماعية بوجه عام حل تلك المشاكل .

وقـــد تكون أهم المشاكل المتعلقة بما نحن بصدده ، هي التي ترتبط بنوعية العلاقة بين المجتمعات المحلية القائمة بالفعل وبين السكان الجدد .

وعلي سبيل المثال فإنه يجب أن يكون هناك تناسق بين السكان الذين عاشوا في الريف زمناً طويلاً ، وبين السكان النازحين من مدن أخري .

إذ أن لكـــل فئة من السكان ثقافتها الفرعية ، وطرق حياتها المختلفة عن طرق حياة الآخرين .

وهكذا فإن " التكيف " يعتبر أكبر مشكلة بالنسبة للقادمين الجدد .

وسبب ذلك أن هؤلاء السكان قد تم إنتزاعهم من ثقافاتهم القديمة .

أيضاً على هؤلاء السكان أن يكيفوا أنفسهم على نوعية ما يوجد بالمدينة من خدمات وتسهيلات .

وهناك دراسات عديدة تم إجراؤها على المدن الجديدة .

وقد أثبتت تلك الدراسات ، أو بعضها على الأقل ، عن أن كل هذه المتغيرات قد ترافقت مع النتائج السلبية التي نجمت عن صعوبات إنتقالية.

ومن أهم مشاكل الإسكان في المدن الجديدة القصور الواضح في كم وكيفية خدمات البنية الأساسية .

وقد يكون ذلك راجعاً إلي أن محاولة تطوير مركز المدينة الجديدة بنفس الصورة الموجودة بالمدن القائمة بالفعل هو أمر بالغ الصعوبة .

وهكذا فإنه إذا كان من المستلزم للتخطيط الإجتماعي أن يتم توجيهه للجهود التي تبذل في مجال الإسكان بصورة أكثر إيجابية ، فمن الواجب تطوير مداخل أخري للتصدي للمشكلة .

أي أنه بدلاً من أن توجه الجهود إلي عدد الوحدات السكنية فقط ، يجب أن يتم توجيهها أيضاً إلي توفير المسكن الذي يلبي الإحتياجات لفردية .

السياسة السكانية في العالم المتقدم :-

إن ظهور سياسات الإسكان يعتبر ظاهرة حديثة بعض الشيء ، في كل أنحاء العالم .

أيضاً فإن سياسات الإسكان تعتبر إعلاناً واضحاً عن بعض الأهداف الإجتماعية والإقتصادية ذات الصلة بالإسكان .

والصفة المميزة لهذه السياسات هي العمومية .

إذ أن السياسات قامت علي أساس إشباع المطالب الكمية الخاصة بالمساكن ، وإشباع الحاجة إلي تطوير نوعية الإسكان ، والبيئة المحيطة .

أيضاً فإن السياسات السكانية كانت تهدف إلي ضمان أن يكون الإستثمار في ميدان الإسكان متوازناً مع الإستثمارات التي يتم توجيهها للقطاعات الإقتصادية الأخري .

أيضاً فإن السياسات السكانية كثيراً ما تضع في إعتبارها بعض الأهداف " الوقائية " .

حيث توجه أساساً لمنع بناء وحدات سكنية دون المستوي .

وقد يقول البعض أن تحقيق هذه الأهداف يمكن أن يتم من خلال بعض الإجراءات الإدارية ، إلا إنه في الواقع – حتى في الدول المتقدمة – هناك إفتقار إلي القوانين الملائمة .

وهناك كثير من التشريعات التي تم سنها منذ زمن بعيد .

وهذه التشريعات قد صارت غير ملائمة حالياً .

أيضاً فإن قوانين الإسكان عادة ما تكون غامضة ، بحيث تفتح الباب إلي تفسيرات تعسفية كثيرة .

ومع أن قوانين الإسكان قد تفلح في منع بناء مساكن دون المستوي ، فإنها تفشل بدرجة ملحوظة في تحقيق هدف السياسة السكانية من حيث ضرورة توفير مسكن ملائم لكل فرد .

التشريعات السكانية :-

تختص المشكلة السكانية بصفتين ، إحداهما إيجابية والأخري سلبية .

أي أن المشكلة تتضمن ركنين أساسيين ، أحدهما " تشييدي " والآخر " تقييدي " .

١) **الركن التشييدي :-**

يهدف هذا النوع إلي زيادة العرض للمساكن المناسبة .

(٢) **الركن التقييدي :-**

يهـدف هـذا الـنوع إلـي الحيلولة دون إقامة وحدات سكنية دون المستوي.

وبالرغم من أن المساعدات الحكومية قد تأخذ مظاهر عدة ، وتختلف في أصلها وجوهرها من بلد لآخر ، إلا إن هذه المساعدات يمكن إدراجها تحت ثلاث فئات ، وهي :-

١. التدخل المباشر
٢. التدخل غير المباشر ، حيث يتم إعطاء قروض لكل من :
   - السلطات المحلية
   - الإتحادات غير التجارية
   - أصحاب الأعمال
   - الأفراد
٣. صيغة تعمل علي ضمان الإعفاءات الضريبية .

المساعدات الحكومية غير المباشرة :-

تظهـر المساعدات الحكومية غير المباشرة في كمية التسهيلات التي تمنحها الحكومة لتشجيع إستثمار رؤوس الأموال في ميدان بناء المساكن .

أيضاً فإن هذه المساعدات تهدف لتخفيف الأعباء المالية التي يعاني مـنها المـستأجرين الفقراء وتشتمل المساعدات والتسهيلات التي تقدمها الحكـومة علي منح القروض الحكومية ، ودعم إيجارات المنازل بالنسبة للفقراء .

السيطرة علي الإيجارات :-

أثـناء الحرب العالمية الثانية قامت العديد من الدول بتبني إجراءات معينة للسيطرة علي الإيجارات .

ومـــع ذلك فإن عدم مرونة هذه الإجراءات كانت عائقاً أمام توجيه الإستثمارات نحو مجال البناء .

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت كثير من الدول في مرحلة إقتصادية تتسم بالإزدهار .

لـــذلك وضـــعت تلـــك الـــدول فـــي إعتبارها محاولة السيطرة علي الإيجارات ، بل وإلغاء بعضها أحياناً .

دعم الإيجارات :ـ

يمكـــن القول بأن دعم الإيجارات يعتبر طريقة مثالية لتشجيع إنشاء الإسكان الخاص بالنسبة لذوي الدخل المنخفض .

ومن خلال هذا الأسلوب أو هذا النظام تقوم الحكومة بدفع الفرق بين الإيجـــار الـــذي يطلـــبه الملاك والإيجار الذي يمكن لمحدودي الدخل أن يدفعوه .

وقد تم تنفيذ هذا النظام في الولايات المتحدة الأمريكية .

حـــيث تقـــوم الحكومة الفدرالية بتسديد الفرق بين دخل الأسرة وبين القيمة الإيجارية .

الإعفاءات الضريبية :ـ

إن نظـــام الإعفـــاء الضريبي يساعد في تشجيع تحويل قدر كبير من الأموال للإستثمار في المضمار السكاني .

وعلـــي ســـبيل المـــثال فإنـــه في ألمانيا تم تخفيض الدخول الفردية الخاضـــعة للضرائب ، بحيث توجه بعض الأموال إلي الإستثمار الفردي في المجال الإسكاني .

القروض التي تقدمها الحكومة :ـ

تعتبـــر التسهيلات التي تقدمها الحكومات في ميدان القروض بالرهن نوعاً آخر من أنواع التدخل الحكومي الذي يهدف إلي حل المشكلة .

وفـــي الولايات المتحدة الأمريكية قام هذا النظام بعد الحرب العالمية الثانية بدور كبير في الإبقاء علي المستويات العالية لإسكان .

ومع ذلك فإن هذا النظام لا يمكن تطبيقه إلا في الدول الغنية ، حيث تتوافر الإعتمادات المالية التي يتم توجيهها نحو بناء مساكن جديدة .

متي تتدخل الحكومة بصورة مباشرة :ـ

إن الـــتدخل الحكومـــي سواء علي المستوي التقييدي (أي منع بناء وحدات سكنية دون المستوي) أو علي المستوي التشييدي (أي تقديم عدد مناسب من الوحدات السكنية للفقراء) يأخذ صوراً متعددة .

وسوف نعرض الآن لبعض صور هذا التدخل .

(أ) الإسكان الحكومي :ـ

قد يكون أصعب أمر في المشكلة السكانية هو ما يتعلق بإسكان الطبقة العاملة ذات الدخول المنخفضة في مساكن لائقة.

ويـــرجع ذلـــك إلـــي أن إسكان هذه الفئة لا يمكن أن يتم من خلال المحاولات الخاصة للبناء ، لأن هذه المحاولات والمبادرات لا يمكنها أن تقدم الإيجار أو الثمن الذي يحقق لأصحابها ما يتوقون إليه من أرباح .

بعض أمثلة الإسكان الحكومي في الولايات المتحدة :ـ

كانـــت هناك بعض المحاولات الفاشلة ، في محاولة مساعدة الحكومة في الإسكان بالولايات المتحدة الأمريكية .

ومع ذلك فقد كانت هناك تجربة واحدة ناجحة .

وهذه التجربة هي تجربة " ميلووكي " .

إذ أنـــه فـــي عام ١٩١٩ صدر قانون يجيز للبلديات أن تشترك في تمويل تعاونيات الإسكان ، وذلك تحت عدة ظروف .

ولكـــن مدينة (ميلووكي) كانت هي المدينة الوحيدة التي طبقت هذا القانون وإستفادت منه .

أيـــضاً فقـــد كانـــت هناك محاولة أخري في منطقة (Cahoes) بنيويورك .

وكانت هذه التجربة علي نطاق ضيق .

وقد حاولت هذه التجربة إعطاء حلول أهلية ، لمواجهة صعوبة تنفيذ القانون .

ويمكـــن القـــول بأن هيئة الإسكان في الولايات المتحدة الأمريكية قد حاولت حل مشكلة الإسكان عن طريق عدة طرق .

ومن أهم هذه الطرق :

١. وضع تسهيلات الإسكان المتاحة بعد البحث الدقيق ، لكي تكون بجوار المجتمعات المحلية .
٢. ربط الأماكن ذات الإحتياجات في الأيدي العاملة بالأماكن التي يمكنها إسكان اليد العاملة .
٣. تشجيع القطاع الخاص للإستثمار في مجال البناء .
٤. المعاونة في توزيع الأيدي العاملة بحيث يمكن تفادي إزدحام المدينة .
٥. إنشاء المنازل والشقق .

(ب) إزالة الأحياء المتخلفة :-

إن محاولـــة التقلـــيل من المنازل التي هي دون المستوي قـــد لاقت قبولاً كبيراً في الدول المتقدمة .

وعلي سبيل المثال فسوف تعرض الآن للتجربة البريطانية التي كانت مبكرة بعض الشيء بالمقارنة بالدول الأخرى .

لقـــد عــرف عـــن بريطانيا أنها قامت بمحاولة مبكرة لتحقيق أعلي مستوي للإسكان للطبقة العاملة .

وكانـــت الجهـــود البريطانية في هذا المجال أعلي منها في أي مكان آخر في العالم .

وقد كان هناك سببان وراء ذلك .

السبب الأول هو الإهتمام بالصحة العامة .

والسبب الثاني هو محاولة تحديث المجتمع .

ويقول (فايلر) (Viller) :-

" كـــم كنا أغبياء عندما لم ندرك حقيقة أننا نتحمل نفس النفقات ولكن نوجهها في إتجاهات مختلفة وغير سليمة .

فإنـــا ندفـــع ضــــرائب سنوية للمحافظة علي المستشفيات والسجون والإصـــلاحيات والبولـــيس ، وذلك الميكانيزم المعقد والمتشابك لحكومة الـــبلدية الحديـــثة ، وغيـــرها من مؤسسات يستلزم وجودها بقاء الأحياء المتخلفة ، التي نتردد كثيراً في محاولة هدمها .

إن هذه الأوضاع ليست من الرشادة الإقتصادية في شيء .

إذ عندما تزال الأحياء المتخلفة فإن معدلات الوفيات ، ونسبة المرض ، ونسبة الأخلاقيات غير السوية سوف تنخفض باستمرار .

ولهـــذا فـــإذا كان من الواجب أن تدفع نفقات باهظة يستأثر بها الحي المتخلف ، علي أي شكل من الأشكال ، فكم يكون من الأفضل أن نواجه المشكلة بطريقة لا ينتج عنها نتائج سلبية فحسب ، بل تسلم

أيضاً إلي أخري إيجابية " .

إنتهي كلام (فايلر)

ويمكـــن القـــول بـــأن هناك سبباً ثالثاً في إهتمام بريطانيا ببرامج الإسكان .

وهذا السبب هو سبب سياسي في المقام الأول .

فقـــد كـــان فـــي رأي الباحثـــين الإنجليز أن إستقرار الأمة وكفايتها الصناعية يعتمدان إلي حد كبير علي الحالة السكانية .

(جـ) المدن الجديدة والإسكان :-

مـــن الأشكال الشهيرة للتدخل الحكومي لحل مشكلة الإسكان تطوير المدن الجديدة وترحيل الناس إليها .

وهـــذا النوع من التدخل قد تم تطبيقه في كثير من دول العالم المتقدم مثل الولايات المتحدة ، وإنجلترا وفرنسا .

وهـــناك محـــاولات فـــي بعض الدول النامية لتطبيق تلك النظم في بلادها.

(١) المدن الجديدة في إنجلترا :-

إن أفكار بعض الباحثين الإنجليز تشهد بأن إنجلترا كانت الرائدة في مجال تصميم المراكز الحضرية الحديثة .

وقـــد ساعد علي ذلك ما قام به المهندسون الإنجليز من بناء للطرق والتوسع في المنافع العامة ، مما أدي إلي أن تصبح مناطق التشييد الجديدة موضعا لجذب السكان الجدد .

وعلي الرغم من الجهود التي بذلت في بريطانيا في مجال الإسكان ، إلا إنها لم تسلم من بعض الإعتراضات .

وقد كان من هذه الإعتراضات أن ترحيل السكان من لندن وبرمنجهام وجلاسجو إلي مدن جديدة تقابله الكثير من المشاكل الإجتماعية .

بعض المدن الحديثة في بلدان أخرى :-

أخــذت سياســات إصــلاح الــسكني مكانــا ً لها في كل من كندا ويوغوسلافيا السابقة (صربيا) وتشيكو سلوفاكيا السابقة .

وقــد طــورت أيضا ً كل من فرنسا وألمانيا مناطق جديدة للإسكان الملائم لإحتياجات السكان .

الوضع في الولايات المتحدة :-

قــام القطاع الخاص بالولايات المتحدة بدور ملحوظ في إنشاء المدن الجديدة .

أي أن الحكومة لم تتدخل في هذا الموضوع علي الإطلاق .

وهــناك عــدة أوجه للإختلاف فيما بين المدن الجديدة في الولايات المتحدة ومثيلاتها في بريطانيا .

ويكمــن الإختلاف في أن المدن الجديدة في الولايات المتحدة تجاور مراكز المتروبوليتان ، كما أن هذه المدن تعتبر مراكزا ً لجذب الصناعة إليها .

الإسكان في مدن العالم الثالث :-

يقول التقرير الدوري للتنمية الصادر عن البنك الدولي سنة ١٩٧٩ ، أن هــناك حوالــي ٤١ دولة (١١ في آسيا ، و ٢١ في إفريقيا ، و ٩ في أمريكا الشمالية) تتدرج تحت فئة الدول ذات الدخل المنخفض .

وأن ٥٥ دولة (٢٠ في أمريكا اللاتينية ، و١٧ في آسيا ، و ١٤ في أفريقيا ، و ٤ في غرب أوربا) تعد دولا ً متوسطة الدخل .

وقد أقرن التقرير مكانة كل دولة بمتوسط دخل الفرد فيها .

كما ربط أيضا ً مكانة الدولة بالعوامل الآتية :-

١. معدلات توقع الحياة

٢. نسب الأمية

٣. متوسط إستهلاك الفرد

٤. معدل إستهلاك الفرد

٥. معدل إستهلاك الطاقة

٦. نسب المواليد

٧. معدلات الإنجاب الكلية

وقـد أظهر ذلك أن هناك فروقاً جوهرية ليس فقط بين دول أمريكا وأوربا وبين الدول النامية ، بل وبين الدول النامية فيما بينها وبين بعضها البعض .

وربمـا كان من أهم ما نستنتجه من التقرير السابق الإشارة إليه أن هـناك فـروقاً أساسية في الوضع الحضري والقومي لكل دولة ، وهذه الفـروق لا ترجع إلي العوامل الإقتصادية فقط بل تتعداها بعلاقتها بمدي إكـتمال البناءات المكانية التي ترتبط بدورها بمرحلة تاريخية من مراحل عملية التحضر .

ولكـي نفهم خصائص عملية الإسكان في دول العالم الثالث يجب أن نعرف بعض الإتجاهات الرئيسية التي من أهمها :-

١. من المؤكد أن هناك عمليات نمو تجري الآن في دول العالم الثالث .

ولكن ذلك لن يغير من أنماط توزيع الدخل فيها .

كما أن مشاكل البطالة في تزايد في تلك الدول .

٢. ليس من المحتمل عمل إتفاقيات بين الأفراد والحكومات في دول العالم الثالث بسبب الديكتاتورية وعدم المساواة .

٣. فـــي دول العـــالم الثالث يعيش أكثر من نصف السكان في أماكن لا تليق بالسكني .

وعندما نحاول تقدير حجم المشكلة السكانية في العالم فسوف نجد أن أكثـــر من نصف سكان الحضر وأكثر من أربعة اخماس سكان المناطق الريفية يعيشون في مساكن غير صالحة لسكني الإنسان .

وهـــناك كثير من الدراسات التي أثبتت أن أنماط المستوطنات الحالية كانت محصلة لدخول الكثير من البلدان النامية في دائرة الإقتصاد الدولي.

ومـــن الجديـــر بالذكر هنا أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر بذلت جهـــود فـــي كل إنجلترا وفرنسا وألمانيا في مجالات إنشاء سكك حديدية جديدة ، ومجالات الشحن البحري والمواصلات .

أيضاً فإن بعض المشروعات الصناعية كالتعدين قد جذبت الكثيرين للسكني في تلك المواقع .

الفصل الثالث
عمليات النقل في المدن

الفصل الثالث
عمليات النقل في المدن

تمهيد :-

إن مشكلة النقل في المدينة يمكن القول عنوا بأنها تمثل المضمار الثاني في مشكلات النمو الحضري .

وسوف نركز علي هذه المشكلة في هذا الفصل من الكتاب .

تحليل سوسيو تاريخي لدور النقل في النمو الحضري :-

يقول (سكوت جرير) (Scott Greer) :-

" إن النقل هو دورة الأفراد والطاقة والمصانع والبضائع والخدمات ، يقوم بها فاعلون إجتماعيون لتحقيق أهداف إجتماعية " .

ويضيف (سكوت جرير) :-

" إن مثل هذه الدورة قديمة قدم الإنسانية ، لأنه لا يمكن لأي مجتمع أن يربط بين نشاطات أعضائه دون حركة أو نقلة تستند في أبسط أشكالها علي الطبيعة الفسيولوجية للإنسان .

ولأن الأنشطة البشرية دائماً ما تكون منفصلة ومترابطة مكانياً ، فإن البحث عن الأسباب التي تكمن وراء الأنساق الضخمة والميكانزم المعقد لوسائل النقل يكشف عن مدي أهمية ما يمكن أن نسميه بالتقسيم الأيكولوجي للعمل أو النشاط " .

إنتهي كلام (سكوت جرير)

وفي موضع آخر يقول (جرير) :-

" إن الأنشطة البشرية يتحقق تكاملها من خلال وسائل الإتصال التي تتمثل في تدفق الوسائل والمعلومات التي تسمح للأفراد بتنظيم السلوك في الزمان والمكان .

كما تتمثل في وسائل النقل التي هي عبارة عن دورة الناس والبضائع والخدمات علي نحو يسمح بتجسيد التعاون في حدود إختلافات المكان .

بمعني أن تمكن الناس المنفصلين مكانياً التعاون في حدود إختلافات المكان " .

وهناك شواهد تاريخية عديدة تدل علي كثير من الإزدهار بالنسبة للحضارات القديمة ، من خلال تطوير آليات النقل .

وهكذا تتضح الوظيفة الرئيسية للنقل .

علي أنها تناسق النشاط البشري في المكان من خلال تبادل المنتجات والأنشطة ، وتجميع وتوزيع الناس والطاقة والبضائع .

ولأن النقل يعتبر آلية رئيسية لتكامل نتائج التقسيم الأيكولوجي للعمل والنشاط فإنه بالتالي يمثل أحد القيود التي تؤثر تأثيراً بالغاً علي عملية التكامل هذه ونتائجها .

وأياً كان الأمر ، فقد أدت الثورة الصناعية والتكنولوجية إلي أن تصبح هذه الثورة بمثابة نقطة الإنطلاق للنمو الحضري في العصر الحديث .

وقد كانت هناك فترة تاريخية تقدر بنحو ٥٠٠٠ سنة ، منذ أن بدأ الإنسان في بناء المدن .

(أي مدن ما قبل الصناعة)

وقد ظهرت المدن الصناعية في أوربا سنة ١٥٠٠ تقريباً ومعظم سكان العالم قد سكنوا – ولو لبعض الوقت – في هذه المنازل بالمدن الجديدة .

وقد كان هناك أمر مهم يجب ذكره هنا .

وهذا الأمر هو أنه لكي تصبح المدن بعيدة عن أن تكون مجرد مراكز دينية أو إقتصادية أو إدارية فمن الواجب حدوث ثورة تكنولوجية

وأخري تنظيمية .

وهـــناك جـــدل وخلاف بين العلماء والمؤرخين حول كون التغيرات التكنولوجية قد سبقت تغيرات التنظيم الإجتماعي أم العكس .

ولكـــن من الثابت أن نمو كثير من المدن في كثير من بلدان العالم ، كان يرجع إلي ما تحدثه الثورة التكنولوجية من الإكتشافات العلمية يوماً بعد يوم .

ويمكن القول بأن أكتشاف الطاقة البخارية وإستخدامها كمصدر جديد للطاقة في مجالات الصناعة والنقل ، كان من أهم هذه الإكتشافات .

وقد صاحب هذه الإكتشافات تغيرات واضحة في المجال الإجتماعي .

لذلك سميت تلك الإكتشافات بإسم " الثورة التكنولوجية " .

وقد ساهمت " الثورة التكنولوجية " في بناء المدن الجديدة والكبيرة .

وقد كانت هناك علاقة بين النمو الحضري في معظم دول العالم وبين تطوير وسائل النقل .

ويرجع ذلك إلي أن المدن الجديدة تعتمد علي تطوير الأسواق .

لذلك كان من الضروري أن يتم تطوير النقل لخدمة تلك الأسواق .

وقـــد قامـــت الـــسكك الحديديـــة بالـــذات بدور هام في إقامة البناء الأيكولوجي الحضري .

وقـــد إرتبط النمو الحضري بتحولات جوهرية في الأساس الوظيفي للمدينة الحديثة .

وقد ظهر هذا بوضوح في بناء المدينة الأيكولوجي .

وهكـــذا إتصبغت هذه المدن بمظاهر إختلفت تمام الإختلاف عن مدن العصور الوسطي .

ويعتبر التصنيع أهم عامل من عوامل النمو الحضري .

المشكلة وتعريفها :-

يمكـــن أن نـــستخلص مما سبق أن هناك إرتباطاً وثيقاً بين تكوين شبكة النقل وبين البناء الأيكولوجي للمدينة .

وقـــد أظهـــرت بعض الدراسات أن بناء بعض المدن الجديدة إرتبط بتطوير وسائل النقل بصورة خاصة .

وبعد إستخدام البخار في إدارة القطارات بمدة كبيرة ، تم إكتشاف آلة الإحتراق الداخلي ، فدخلت السيارات في نطاق وسائل النقل .

وقد كان لهذا أثره الواضح علي بناء المدن الجديدة .

إذ أنه ساعد علي نقل مواد البناء بسرعة أكبر .

وقـــد أدي إزدحـــام المدن – خاصة المدن القديمة – إلي الحاجة إلي إنـــشاء كـــباري علوية عند التقاطعات وتخصيص مناطق للمشاة ومناطق أخري للسيارات .

المشكلة وتعدد أبعادها :-

مـــن المعـــروف أن مشكلة النقل هي ظاهرة معروفة في معظم دول العالم .

ولكن المشكلة الأهم هي " ساعة الذروة " .

والإزدحـــام فـــي ساعة الذروة يؤدي بالسيارات إلي التوقف ساعات طـــويلة فـــي الـــتقاطعات وبالقرب من المراكز التجارية ومقار الأعمال بالمدينة .

أيـــضاً فـــإن الحـــصول علي أماكن إنتظار للسيارات يعتبر مشكلة حقيقية.

إزدحام المرور:-

عـــند الكـــلام عن مشكلة النقل الحضري فإن إختناق المرور يفرض نفسه كمشكلة بالغة الصعوبة .

وقد جاء في التقرير الذي نشره (بوتشانان) (Buchanan) :-

" إن مشاكل النقل مشاكل مألوفة ، حتى أننا لسنا بحاجة إلي تأكيد ما يثيره إزدحام المرور من إحباط وضيق ، وضياع الوقود وضياع الوقت ، وتبديد جهد المسئولين عن تنظيم حركة المرور .

وفي الوقت الذي تستطيع فيه أثقل العربات وأكبرها حجماً قطع مسافة ميل واحد في الدقيقة ، فإننا نجد أن متوسط سرعة حركة المرور في المدن الكبرى لا تزيد عن إحدي عشر ميلاً في الساعة الواحدة تقريباً .

فإلي أي مدي من التفاقم بلغته مشكلة الإختناق طبقاً للحدود القياسية ؟ " .

إنتهي كلام (بوتشانان)

ويقول (تومسون) :-

" في كثير من مدن العالم يهبط زحام المرور في مراكز المدن بسرعة السيارات تدريجياً لتصبح نحو ١٦ كم في الساعة في المتوسط .

وذلك بغض النظر عن حجم المدينة ومدي كفاءة نظم النقل السائدة ومستويات ملكية السيارات الخاصة .

وعند هذا المستوي يتجه راكبو السيارات إما إلي تجنب مركز المدينة أو إلي إستخدام أساليب أخري في الإنتقال .

وهذا الوضع يعكس الحقيقة القائلة بأن النمو في الطلب علي مرونة المرور ، سواء كان للسيارات العامة أو الخاصة في الدول المتقدمة أو النامية يميل إلي أن يكون أسرع من التطور الذي يخلقه التطور العام أو التمويل اللازم لنظام محدد من الخدمات في المدينة .

وبمعني آخر فإن الإستجابة السريعة في زيادة عدد السيارات وتزاحمها في طرقات المدن وشوارعها تكون أكر سرعة من محاولة تعديل وإعادة توزيع الخدمات فيها .

وبالتالــي فهل يمكن أن توضع قيود علي ملكية السيارات الخاصة ، خــصوصاً وأن هــناك نمــواً عــشوائياً تنافــسياً في مجال صناعة السيارات؟ " .

إنتهي كلام (تومسون)

وتظهــر الإحــصائيات أن حوادث السيارات تجاوزت أربعة ملايين حادثة في عام ١٩٧٩ .

وقد أدي هذا إلي وفاة إكثر من ٥٠ ألف حادثة وفاة .

ويقول (جون كلاي بروك) في تقرير له :-

" تعــــد حـــــوادث الــسيارات أكبر قاتل للأفراد في مدن الولايات المتحدة ، وخاصة في الفئة العمرية ما دون الخامسة والثلاثين .

كما إنه يعد سبباً رئيسياً للإصابة بالشلل النصفي والصرع .

وفي المتوسط تقع حادثة وفاة في الطريق الرئيسي كل ١٠ دقائق .

كما تحدث إصابة كل ٨ ثواني .

إن قــتل الأمــريكين فـــي حوادث المرور بالطرق الرئيسية كل عام يقترب من مجموع القتلي في الحرب الفيتنامية (٥٢ ألف) .

وبحــساب الدولارات فإن تكاليف هذه المشكلة بالنسبة للدولة تبلغ ما يــزيد عــن ٥٠ بلــيون دولار سنوياً ، توزع ما بين التكاليف الطبية ، والتعويــضات ، والأجــور المفقودة ، والتعويض عن التلفيات والرعاية الإجتماعية .... إلخ

إن حوادث السيارات تأتي من منظور الصحة العامة في المقام الثاني من حيث خطورتها بعد أمراض السرطان " .

إنتهي كلام (جون كلاي بروك)

الإنتظار ومشاكله :-

إن مشكلة إنتظار السيارات تفوق في صعوبتها المشاكل التي سبق أن أشرنا إليها والخاصة بالنقل .

ورغـــم أن هذه المشكلة أقل خطورة من المشاكل الأخرى ، إلا إن ضررها يكون أكبر .

ونحـــن غالـــباً مـــا نجد أن إزدحام السيارات في الشوارع والطرق الضيقة كثيراً ما يعوق حركة المشاة ، ويسبب لهم الكثير من المضايقات.

ومـــن جهـــة أخـــري فـــإن مشكلة الإنتظار لها دور كبير في زيادة إختناقات المرور بالمدن ، وخاصة في مراكز تلك المدن .

مسألة عبور المشاة :-

في العادة يحب ساكن المدينة سيارته ويشغف بها .

لـــذلك فـــإن السير علي الأقدام قد قل في كل دول العالم خاصة في الدول المتقدمة .

وبالـــرغم من ذلك بقيت مشكلة عبور المشاة جزءاً أساسياً في نسق الدورة في المدينة الحديثة .

ومنذ أيام العربة التي تجرها الخيول لا تزال الشوارع تعتبر متنزهاً للمشاة .

ولأن عنـــصر المـــشاة مهم في داخل دورة نسق النقل بالمدينة ، تم تصميم خطط للنماذج الحديثة بالمدن .

وخيـــر مثال علي ذلك الخطة التي وضعت لمدينة (الجرين بيلت) (Green Belt).

ويقول (لوسون بيرادي) (L. Pirady) :-

" إن مـــن المحتم أن تقدر مساحة المنطقة التي تخصص للسير علي الأقدام وفقاً لكثافة السكان " .

ويضيف (بيرادي) :-

" إن حوالـــي نصف أو ثلث سكان المبني الواحد عادة ما يستخدمون هذه الممرات في وقت واحد .

لـــذلك فإنـــه إذا ما أمكن تبسيط إرتباك شوارع المنطقة التجارية في المديـــنة عن طريق إقامة متنزهات صغيرة للمشاة داخل مراكز التسويق يمكن لدورة المشاة أن تصبح أكثر ملاءمة ومتعة وأقل خطراً " .

إنتهي كلام (بيرادي) .

ويمكن القول بأن سكان المدينة ينقسمون إلي قسمين .

القسم الأول هو السائقون ، والقسم الثاني هو المشاة .

وعلي الرغم من أن سكان المدن يميلون إلي إقتناء السيارات بدرجة كبيرة، إلا إنه يمكن القول بأن كل سكان المدينة مشاة أيضاً .

إذ أن المشاة يعتبرون نسبة لا يستهان بها من مجموع سكان المدينة .

تكاليف النقل :-

يمثل إرتفاع وبهاظة نفقات النقل مشكلة عويصة .

والـــسبب في ذلك يرجع أساساً إلي إرتفاع ثمن الجازولين إرتفاعاً ســـريعاً وصل إلي ٥٠٠ % حتي في الدول التي لديها إحتياطي كبير من البترول .

ومـــن الـــواجب أن نعرف أن معظم خدمات النقل ، سواء أتت هذه الخـــدمات مـــن القطـــاع العام أو الخاص ، فإنها في نهاية الأمر أعمال تجارية .

ويقول (ممفورد) (Mumford) :-

" وحتـــى تتم المحافظة علي الأرباح ، أو حتي نقلل العجز في كثير مـــن الحـــالات، كـــان من الضروري أن ترتفع المعدلات ، وأن تتناقص الخـــدمات، وأن تصبح المعدات عتيقة وبالية دون إستبدالها بغيرها ودون تحسين " .

إنتهي كلام (ممفورد)

<u>التلوث البيئي :-</u>

إن أكبـــر مـــشكلة تـــسبب تلـــوث الهواء في المدن هي مشكلة عادم السيارات .

وعـــادم السيارات في المدن يسبب تلوثاً أكبر من التلوث الذي تسببه المصانع ومخلفاتها .

ومن أهم الملوثات في عوادم السيارات :-

١. أول أكسيد الكربون

٢. أكسيدات النيتروجين

٣. الرصاص

٤. الهيدروكربونات المحترقة بصورة جزئية .

<u>١- أول أكسيد الكربون :-</u>

ينتج أول أكسيد الكربون نتيجة الإحتراق غير التام للوقود .

وهو غاز بالغ السمية .

ويندمج غاز أول أكسيد الكربون مع هيموجلوبين الدم مكوناً مركباً ســـاماً يمنع الدم من القيام بوظائفه في نقل الأكسجين إلي أعضاء الجسم المختلفة .

وبالرغم من أن نسبة أول أكسيد الكربون في شوارع المدن لا يصل إلــي حــد التــسبب فــي الموت أو العجز ، إلا إنها تشكل مشكلة بالغة الخطورة علي المدي البعيد .

٢ـ الرصـــاص :ـ

مــن المعلوم أن هناك نسبة من الرصاص يتم إضافتها إلي البترول لكي يكون إحتراق البترول أكثر سهولة .

والرصاص يضاف إلي البنزين في كافة دول العالم تقريباً .

لــذلك فقــد صار من المألوف أن نجد الرصاص المنبعث من عادم السيارات، مع غازات أخري ، يشكل تلويثاً للهواء في كافة دول العالم .

وقد أظهرت بعض الدراسات أن نسبة الرصاص الموجودة في الجليد المتــساقط علــي القطــب الشمالي حالياً تبلغ أربعة أضعاف نسبتها منذ أربعين سنة .

وســكان المــدن هم أكثر عرضة لنسب غير طبيعية من الرصاص بسبب زيادة عدد السيارات في تلك الأماكن لذلك فإن نسبة الرصاص في هواء الكثير من المدن يفوق الحد المسموح به .

ولأن الــسموم الــناتجة عن الرصاص تتراكم في الجسم ، لذلك فإن الرصاص من أهم السموم التي تهدد صحة الإنسان .

كيف نواجه المشكلة :ـ

ممــا قد سبق وأن عرضناه يتضح لنا أن النقل الحضري ليس مشكلة واحدة، بل إنه عدة مشاكل في وقت واحد .

وهذه المشاكل معقدة ومتشبعة .

ذلــك أن الإزدحــام في شوارع المدينة يتعلق بطول وقت الرحلة ، ونفقاتها ، وزيادة نسبة إستهلاك الوقود .

أيـضاً فـإن هذا الإزدحام يزيد من معدلات الحوادث ، إلي جانب إثارته للضيق والملل .

وإلـي جانـب هـذا فـإن سوء حال النقل العام وزيادة الطلب علي السيارات الخاصة يؤدي بدوره إلي مشكلات أخري كالإنتظار ومشكلة عبور المشاة.

وفـي دراسـة قـام بهـا كل من (راسل أكوف)(R.Akoff)، و(فرانسيسكو ساجاستي) (F. Sagasti) يقولان :-

" إذا إستمر السكان في النمو كما هو متوقع ولم تستقطعهما السيارات في عام ١٩٨٠ ستكون ضعف ما تقطعه في عام ١٩٩٠ .

وأنـه فـي سـنة ٢٠٠٠ ستكون بحاجة إلي أن تقطع ثلاثة أضعاف ونصف ما ستقطعه سنة ١٩٨٠ " .

ويضف الباحثان :-

" إن الإحـتفاظ بمستوي الإزدحام في الطرق السريعة لها علي الأقل أربعـة مسارات ، أما النفقات الإقتصادية أو المالية المطلوبة فهي باهظة للغاية .

فعلـي مستوي تكلفة ١٠ مليون دولار لكل ميل واحد من هذه الطرق السريعة ، فإن الناتج النهائي لنفقات ما تتطلبه عمليات إعداد هذه الطرق السريعة يبلغ علي أقل تقدير ٥٥٠ بليون دولار .

أي بمعـدل ١٨,٣ بليون دولار سنوياً في الفترة ما بين سنة ١٩٧٠ وسنة ٢٠٠٠ .

الأمر الذي يزيد حوالي عشر مرات المبالغ التي رصدت للإنفاق علي الطرق السريعة في الستينيات ١,٤ بليون دولار كل سنة " .

ويقول (ساجاستي) أيضاً :-

" أنـــه حتي إذا أمكن تدبير هذه الإعتمادات الباهظة وغير المعقولة ، فإن إنفاقها لن يقضي علي المشكلة بصفة نهائية .

بل إنه سيحل مشكلة محل أخري .

ففي معظم المدن الكبري تشغل الشوارع والطرق السريعة ، وأماكن الإنتظار ما يزيد عن ٤٠ % من مساحة الأرض المتاحة للمدينة ككل .

ففـــي عـــام ١٩٥٦ علـــي سبيل المثال ، إحتل هذا النمط من أنماط إستخدام الأرض نسبة ٥٩% من مساحة المدينة في لوس أنجلوس و٥٠% في ديترويت ، و٤٨ % في مينابوليس .

وفـــي الـــوقت الذي تتزايد فيه الحاجة إلي بناء الطرق السريعة علي حساب أنماط أخري من إستخدام الأرض ، تتناقص فيه مساحات الأرض التي تخصص لأغراض تخضع لرسوم الضرائب المحلية والبلدية .

ومـــن ثـــم فمن المتوقع في نظر الباحثين أن يسرّع تحويل مساحات أكبر من الأرض إلي إستخدامات النقل من الأزمات المالية التي تواجه بها المدن الكبري إلي حد إفلاس بلدياتها " .

إنتهي كلام (ساجا ستي) .

وقد يقول البعض أن إستخدام التكنولوجيا الحديثة في مجال التلفزيون والدوائر التليفزيونية المغلقة سوف يقلل من الطلب علي وسائل النقل .

ولكن هذا غير صحيح .

وذلـــك لسببان ، أولهما بهاظة تكاليف هذه الوسائل وثانيهما أنه مهما بلغت كفاءة هذه الوسائل فإنها لن تغني عن إستخدام وسائل النقل المعتادة.

ويقول (فيتش) (Fitch) :-

" ليس هناك من سبب للإعتقاد بأن تطور تكنولوجيا الإتصال الحديثة سوف يجعل من رحلات العمل اليومية مسألة غير ضرورية ، بل ستظل هذه الرحلة هي أساس مشكلات النقل الحضري " .

إنتهي كلام (فيتش)

ومن المهم هنا أن نذكر أن إستخدام التلفزيون لن يقلل من رحلات الإنتقال من وإلي العمل ، بل إنه سوف يزيد المشكلة تعقيداً .

ويقول (فيتش) (Fitch) في هذا الموضوع :-

" إن القول السابق ذكره ينسحب أيضاً علي إستخدام الوسائل التي تمكن من رؤية المواقع الأكثر بعداً ، وغرابة ، إذ لم تقلل من الحاجة إلي الإنتقال إلي هذه المواقع ، بل أثارت في نفوس الأفراد والجماعات والهيئات فضولاً – قد يكون بدافع إقتصادي – للإنفتاح علي هذه الأماكن.

زد علي ذلك أن إنتشار إستخدام التليفزيون المصور يحتاج إلي فترات طويلة قد تمتد إلي سنة ٢٠٠٠، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلي الإعتقاد بأن التطورات الجديدة في تكنولوجيا الإتصال سوف تقلل بشكل ملحوظ من مشاكل النقل التي سوف تزداد تفاقماً في المدن الكبري في السنوات القليلة المتممة للقرن العشرين " .

إنتهي كلام (فيتش)

<u>متي تتدخل الحكومات بطريقة مباشرة :-</u>

ليس من الصحيح أن دراسة مشكلات النقل تقتصر علي ما يعرف بإسم " المسافة الإقتصادية " فقط ، بل إن هناك بعداً آخر يساعد في تحديد أسعار النقل وتسهيلاته .

وهذا البعد هو ما يعرف بإسم " السياسة الحكومية للنقل " .

وغالباً ما يتجاوز هذا البعد كل الإعتبارات الإقتصادية .

وعادة ما تعطي الحكومات إهتماماً متزايداً لتخطيط أساليب النقل .

ويـرجع هذا إلي أسباب عديدة بعضها سياسية ، وبعضها إقتصادية وبعضها إجتماعية .

فمن جهة فإن النقل يعد مكوناً أساسياً من مكونات النسق الإقتصادي للدولـة ، وذلك لأنه يمثل الناحية الأكثر أهمية في تكوين البنية الأساسية للمجتمع ، والتي يتم تحقيق النشاط الإقتصادي في حدودها وإطارها .

ومـن جهـة أخري فإن إستثمارات البنية الأساسية تحتاج عادة إلي كميات كبيرة من رأس المال .

وبغـض النظر عن النواحي السياسية والإقتصادية ، فإنه من الممكن القـول بـأن خدمـة النقل هي خدمة إجتماعية أكثر منها مسألة مرتبطة بالربح.

ولهـذا فإنه عادة ما تقوم الحكومات بالتدخل للسيطرة علي سياسات النقل في البلاد .

ويصير تدخلها هذه هو واحد من أهم العوامل للبت في مسألة التنافس بين الأشكال المتنوعة لخدمات النقل .

ومـن أمـثلة ذلك التسهيلات التي تعطيها الحكومات لخطوط السكك الحديدية ، وخدمات النقل العام بالأتوبيسات إلي المناطق البعيدة .

السياسات الخاصة بالنقل :-

إن نماذج تخطيط النقل تعد مطلباً أساسياً .

ويرجع ذلك إلي أنها تقدم للمسئولين عن التخطيط تصوراً مستقبلياً عما يحتاجه السفر داخل المناطق الحضرية وبينها .

وربمـــا كان الهدف الرئيسي من هذه العملية يظهر في تمكين أجهزة التخطــيط من تصميم الخطط التي تحاول أن تحقق التوازن بين العرض والطلب فيما يرتبط بتسهيلات النقل .

ومـــع ذلـــك فإن السياسات التي يتم وضعها لأي مكان تعتمد إلي حد كبير علي الأهداف التي يتم تحديدها لها .

إذ أنـــه في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، سببت الأهداف البـــسيطة – مثل القضاء علي مشكلة إختناق المرور – إلي تصميم خطط ذات مدي ضيق ، ترمي إلي إنشاء المزيد من الطرق .

ويقول (ميتشل) (R.B.Michell) في هذا الصدد :ـ

" إن هناك عدداً من المبادىء الهامة التي توجه خطط النقل .

ومن هذه المبادىء :ـ

(١) لا يمكن أن يخطط لإنشاء طريق عام جديد High Way أو لتسهيلات جديدة للنقل العام بمعزل عن باقي النسق ، فإن كل تطوير أو تحسين يجب أن ينظر إليه علي إنه جزء من نسق كلي .

(٢) إن الطرق العامة وتسهيلات النقل العام لا يمكن أن يخطط لأي منهما بمعزل عن الآخر .

(٣) يجـــب أن يتـــسع مجـــال تخطـــيط النقل الحضري ليصبح ذا طابع متروبوليتي .

كما يجب أن تشمل الدراسات علي الإقليم الحضري برمته ، فكما أن المسافرين لا يبدون إهتماماً لحدود البلديات ، يجب علي سياسات وخطط الـــنقل أن تصـــاغ لتغطي المنطقة بأكملها ، دون التقيد بالحدود أو الحواجز الإدارية .

(٤) إن تخطـيط الـنقل الحـضري لا يمكن أن يتم بمعزل عن تخطيط إستخدام الأرض الحضرية .

فمـن ناحية نجد أن موقع وكثافة المناطق السكنية والتجارية ومواقع الـصناعات ، وأمـاكن التـرويج سوف تحدد مقدماً حجم وإتجاه السفر والإنتقال في المدينة .

ومن ناحية أخري فإن أي نسق جديد للنقل سوف يوجد أنماطاً جديدة من المستوطنات والنشاطات ويمارس تأثيرا فعالاً علي مواقع النشاطات الجديـدة ، وعلـي معـدلات التغير وإتجاهاته بالنسبة للنشاطات القائمة بالفعل".

إنتهي كلام (ميتشل) .

وفي هذا الصدد يقول أيضاً (بوشانان) (Buchanan) :-

"إن هـناك عدة مباديء يجب وضعها في الإعتبار عند إعداد خطط النقل .

ومن أهم هذه المباديء :-

١. التخطـيط الهـادف للنقل الحضري لا يمكن أن يتحقق إلا في السياق الأشمل لتخطيط إستخدامات الأرض الحضرية .
٢. إنه من الأهمية بمكان أن يتم التنسيق بين خطط النماذج المختلفة للنقل ، كالتنسيق بين النقل العام والخاص ، وبين الركاب وشحن البضائع ، وبين النقل داخل المدن ، وبين بعضها البعض .
٣. إعتماداً علي كثافة المنطقة الحضرية هناك حداً مطلقاً لحجم حركة المرور التي يمكن للمدينة أن تستوعبها من الناحية الفيزيقية .

لذلك فإنه إلي المدي الذي تتجاوز فيه الحاجة أو الطلب علي إستخدام الـسيارات الخاصـة هذا الحد المطلق فإنه من المتعين عندئذ أن توضع بعض القيود علي حركة المرور .

٤. سـيظل النقل العام يلعب دوراً هاماً في تحقيق التوافق بين مطالب الحـركة ، والإنـتقال فـي المـنطقة الحضرية وبخاصة في المدن الكبري . "

إنتهي كلام (بوشانان)

ومن خلال النظرة الأيكولوجية للموضوع فإن تخطيط النقل الحضري يضع في إعتباره حقيقة أن نجاح وسائل النقل ومركباته يعتمد علي كثافة السكان ، وأماكن العمل وبعض الأمور الأخرى المتعلقة بالشكل والتطور الحضري .

<u>الإرتفاع بمستوي النقل العام :-</u>

أوصـي الكثيـر من الخبراء بضرورة إستحداث نسق متوازن للنقل الحضري تقوم فيه وسائل النقل العام بدورها ، جنباً إلي جنب الدور الذي تقوم به وسائل النقل الخاصة .

وفـي هذا الموضوع يقول الخبراء أنه ليس من المقبول تطوير شبكة باهظـة التكالـيف مـن الطرق السريعة والحرة (Free Ways) وأن نتجاوز عن إحتياجات النقل العام .

ويمكـن القـول بأن السيارة الخاصة في الوقت الحالي هي الوسيلة الرئيسية للنقل في المدن .

وفـي الـولايات المتحدة لا يتعدي مستخدمو وسائل النقل العام عشر السكان .

وبرغم أن الإنتقال بالسيارة ليس مهماً بدرجة كبيرة في معظم الدول بإسـتثناء الـولايات المتحدة ، إلا إن أهميته تزداد بزيادة دخل المواطن وقدرته علي شراء سيارة خاصة .

لـذلك فإن إستخدام وسائل النقل العام في الذهاب والعودة من العمل يزداد في الدول غير المتقدمة بصفة خاصة .

وقـــد بـــدأت عملية مكافحة مشكلة الإختناق بالعمل علي إنشاء طرق سريعة وأماكن لإنتظار السيارات .

وهكذا يبدو لنا بصورة واضحة أن مشكلة الإختناق لن يتم حلها عن طـــريق إنـــشاء الطـــرق السريعة فقط ، بل يجب أيضاً جذب صاحبي السيارات الخاصة للركوب في وسائل النقل العام .

لكـــن يجـــب قبل أي شيء إمداد وسائل النقل العام بالتسهيلات التي تجعل منها منافساً قوياً للسيارات الخاصة .

إن كثرة الصعوبات التي تتعرض للإختيار بين إستخدام وسائل النقل العام أو الخاص تأتي من حقيقة أن السيارة تقدم العديد من المزايا لمالكها.

ومن هذه المزايا أن السيارة تعد وسيلة نقل مريحة بل وممتعة أيضاً .

ومن المهم هنا أن نذكر أن كثيراً من دول العالم حاولت حل مشكلة الإختناق عن طريق إنشاء مترو الأنفاق.

ومن هذه الدول :-

١. إنجلترا
٢. فرنسا
٣. الولايات المتحدة
٤. روسيا
٥. اليابان

وبطبيعة الحال فإن إنشاء شبكات مترو الأنفاق يحتاج إلي مبالغ كبيرة جداً من المال .

وقبل الحرب العالمية الثانية كانت السكك الحديدية تسد الحاجة ، ولكن مـــع بدايـــة الخمسينات من القرن الماضي قل الطلب عليها في الولايات المتحدة نظراً لتدهور مستواها ومستوي الخدمة بها .

وقـد أشـارت بعض الدراسات أنه من الممكن إستخدام بعض النظم لتطوير نسق النقل .

ومن هذه النظم :ـ

(١) **أتوبيس تحت الطلب :ـ**

أي أن المـواطن من الممكن أن يطلب مركز الخدمة تليفونياً ليطلب وسيلة النقل تلك .

(٢) **هندسة المرور :ـ**

من المعروف أن تخطيط الشوارع أمر مهم لإتساق المرور عليها .

وقد تم إستخدام عدة ضوابط لتسيير وسائل النقل في الشوارع بغرض الحد من مشكلة الإختناق .

وتعرف عملية إستخدام هذه الضوابط بإسم هندسة المرور (Traffic Engineering) .

تطوير الشوارع والطرق :ـ

مـع إرتفاع معدلات تزاحم المدن صارت الطرق القديمة غير كافية لخدمات النقل .

وبات واضحاً أن هذه الطرق يجب أن تجدد وتوسع .

ومـع ذلك فإنه في بعض الأحيان كان توسيع الطرق يزيد من تفاقم المشكلة .

وكان السبب وراء ذلك أن الطرق التي تم توسيعها جذبت العديد من السيارات للسير فيها بدرجة أكبر من سعة هذه الطرق .

وقـد صـارت حـوادث هذه الطرق محصلة لعدة أسباب من أهمها الزحام في التقاطعات .

ويقول (هارولد) (Garold) المهندس المنفذ للخطة الإقليمية في نيويورك :-

" إن هـناك ثـلاث وسائل تستطيع بها الطرق السريعة تجنب مركز الإزدحام وهي :-

١. أن تقوم علي أحد جوانب مركز الأعمال .
٢. أن تعبر منطقة الأعمال بخط مباشر نسبياً علي جسر بعيد عن أي حركة مرور عابرة .
٣. أن تقام أسفل الشارع العادي في نفق مفتوح تحت منطقة الأعمال .

وفي العادة تكون الطريقة الأولي الأكثر إستخداماً في كثير من مدن العالم .

وفي الطريقتين الثانية والثالثة لا يسمح لأي سيارة أو أحد من المشاة فرصة العبور من الطريق السريع .

وعلـــي آيـــة حال تحقق الطرق السريعة إلي حد كبير ما تفتقر إليه حركة المرور في المدن من سرعة وأمان .

خاصـــة بعد أن تبين أن أكثر متاعب النقل الحضري صعوبة لاتتمثل في السرعة بقدر ما تكمن في نقصها " .

إنتهي كلام (هارولد)

<u>كيف يمكن تنظيم عبور المشاة وحركة السيارات ؟ :-</u>

من المعروف أن مناطق التسويق تحدث فيها أهم مظاهر الصراع بين المشاة والسيارات في معظم الأحيان .

لـــذلك يحاول مخططو المدن إنشاء مراكز التسويق بعيداً عن حركة المرور .

ومـن أسـهل الطرق لتنفيذ ذلك عملية الترشيد الزمني ، وذلك عن طريق إستخدام مساحة الطريق المخصصة في مناطق التسويق بين المشاة والسيارات عن طريق إصدار بعض التعليمات الإدارية التي تنظم ذلك .

ومـثال ذلك أن يتم إقفال هذه الطرق في وجه حركة السيارات أثناء ساعات التسويق .

وقد إبتكر بعض الخبراء أسلوباً آخر لحل المشكلة .

وهـذا الأسـلوب هو ألإستبعاد التام والدائم للسيارات التي تسير في مناطق التسويق .

كيف نحل مشكلة الإنتظار :-

حاول الإنسان منذ زمن بعيد أن يزيد من سرعة وسائل النقل .

وقد كللت جهوده في هذا الميدان بالنجاح إلي حد بعيد .

ولكنه حالياً يواجه مشكلة صعبة .

وهي عدم توافر المكان من أجل إبطاء وسائل النقل وإيقافها .

ومن الجدير بالذكر هنا أن وسائل النقل المختلفة يجب أن يتوافر لها مكـان سواء للإنتظار أو الوقوف خصوصاً عند بداية خطوط السير أو نهايتها .

وإختلاف بناء المدينة يؤدي إلي إختلاف الحاجة إلي مواقع أو أماكن للإنتظار .

وقـد كانـت هناك بعض الدراسات التي أشارت إلي أن هناك بعض الملامـح العامة التي إذا حللت بطريقة سليمة فإنها تفيد في وضع بعض التوجيهات لحل المشكلة .

وتتعلق هذه المستويات العامة ببناء أرضية المكان .

ويمكـن القول بأن الإعتقاد بأن حل المشكلة يكمن في تحسين خدمة النقل الجماهيري هو إقتراح مستبعد .

وذلك لأن السيارات مطلوبة بشدة من جانب معظم سكان المدن .

وفـــي معظم الأحيان يود راكب السيارة أن يوقف سيارته بالقرب من مقر عمله ، أو المكان الذي يقصده .

وقـــد دلـــت بعض الدراسات علي إنه يمكنه أن يفعل ذلك في مرات عديدة ، ولكن بطريقة غير مسموح بها قانونياً .

وهناك دراسات أخري أوضحت أن راكب السيارة الذي يقصد منطقة الأعمال المركزية أو الحي التجاري يرفض أن يسير علي قدمه أكثر من ١٠٠ قدم في معظم الأحيان .

ومـــع ذلـــك فـــإن الدراسات السابق الإشارة إليها تستحق المزيد من الإهتمام .

ويقول (أوستن ماكدونالد) (Austin Mcdonald) :-

"إن هناك عدة بدائل لحل تلك المشكلة .

ومن هذه البدائل :-

١. يستطيع صاحب السيارة أن يترك سيارته بالمنزل ويحاول إيجاد وسيلة أخري – قد تكون أقل متعة ورفاهية – للوصول إلي الجهة التي يقصدها .

ويحظي هذا الحل بقبول واسع الإنتشار ، كما يمتاز بأنه يقلل من عدد السيارات المنتظرة في الطرق الرئيسية .

إلا إن من مساوئه أن يجعل الأعداد الكبيرة من السيارات بلا فائدة أو وظيفة لأصحابها أغلب الأوقات .

٢. يـــستطيع صاحب السيارة في المدينة أن يجد مكاناً مناسباً للإنتظار بالقرب من المكان الذي يقصده .

ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إنشاء أماكن للإنتظار خارج أو بالقرب من مناطق الإزدحام في المدينة .

٣. لا يـــزال أمـــام صاحب السيارة في المدينة إختيار ثالث هو أن يقود سيارته إلي أن يبلغ نقطة بداية إزدحام المرور ليوقفها في مكان ما ، ليستخدم وسيلة أخري للنقل لإستكمال رحلته .

وينتج عن مثل هذا الإجراء الإقلال من نفقات ووقت وراحة صاحب السيارة ، وإنسياب حركة المرور ومنع الإختناق " .

ويضيف (أوستن ماكدونالد) :-

" إن الإقدام علي إستخدام هذه الطريقة علي نطاق واسع في المستقبل يـــتوقف إلـــي درجة كبيرة علي طبيعة التسهيلات المتاحة التي لا تقتصر فحسب علي مجال تخطيط حركة المرور أو تنظيمها .

غيـــر إنـــه من الملاحظ أن ما قدم لتشجيع أصحاب السيارات علي الإنتظار خارج منطقة الأعمال في أغلب مدن العالم يعتبر غير ذي قيمة ، وأنـــه لا بد من توفير هذه الخدمة ، ولذلك وجهت أغلب جهودها الإدارية والتنظيمـــية نحـــو موقف سلبي يتمثل في إجراءات عدم السماح أو علي الأقل عدم تشجيع أصحاب السيارات علي دخول هذه المنطقة " .

إنتهي كلام (ماكدونالد)

الفصل الرابع
تلوث البيئة

الفصل الرابع
تلوث البيئة

تمهيد :-

فــرض النمو الحضري بعض المشكلات الخطيرة فيما يتعلق بسلامة الإنسان وصحته .

وإذا كانــت الثورة التكنولوجية في مجال النقل مسببة لزيادة معدلات النمو الحضري ، فإنها قد تسببت في عدة مشاكل مثل :-

١. الإزدحام
٢. التلوث
٣. الحوادث
٤. التوتر

أولاً : ما هو التلوث :-

إن مصطلح التلوث (Polution) يمثل مختلف التهديدات البيئية التي يتعرض لها أفراد المجتمع والملوثات هي العوامل التي تؤدي إلي إحداث التلوث .

ومن أمثلة هذه الملوثات المواد الكيمائية والإشعاع والضوضاء .. إلخ

أمـــا مصطلح " عدم النظافة " أو " عدم النقاء " فإنه يدل علي حالات قام فيها الإنسان بتدنيس البيئة إلي الدرجة التي تهدد حياته .

وفي حقيقة الأمر فإن التهديد يشمل إلي جانب تهديد البشر تهديد كل الكائنات الأخري .

وهكـــذا يتــضح لنا أن التلوث هو من صنع الإنسان ، ولكن ذلك لا يعني أن أسباب التلوث هي دائماً من صنع الإنسان .

إذ أنه في أحيان كثيرة ينتج التلوث عن عوامل طبيعية ليس للإنسان دخل فيها .

ومـــن الـــصعب تعريف التلوث إذ أن المادة الملوثة في مكان ما قد تكون نافعة في مكان آخر .

وعلـــي ســـبيل المثال فإن فضلات الحيوان – بالرغم من أنها مواد ملوثة – يمكن إستخدامها في تخصيب التربة .

ولكن زيادة تركيزها في مياه الصرف يمثل مشكلة بالغة الخطورة .

ثانياً : أسباب التلوث وأنماطه :-

ســـوف نقتـــصر هـــنا علي التلوث الذي سببته يد الإنسان في البيئة الحضرية .

(١) **تلوث هواء المدن :-**

في الوقت الراهن يمكن إعتبار أن تلوث الهواء صار من أكبر أشكال التلوث البيئي وضوحاً .

ويحدث هذا بصفة خاصة في المدن الكبيرة .

ومع أن تلوث الهواء قديم قدم إستخدام الإنسان للنار ، إلا إن كميات الدخان والذرات الكربونية الغير محترقة إحتراقاً كاملاً ، لم تكن تشكل مشكلة إلي عهد قريب .

ومـــع بدايـــة إتجـــاه البشرية إلي السكني في المدن ، زادت المشكلة بصورة واضحة .

مصادر تلوث الهواء وأنماطه :-

من الممكن تصنيف الملوثات حسب الآتي :-

١. **تركيبها الكيمائي**
٢. **مدي تأثيرها علي الصحة .... إلخ**

وهناك سبعة أسباب لتلوث الهواء .

وهؤلاء الأسباب السبعة هي :

١. الجسيمات الدقيقة .
٢. أكسيد الكبريت .
٣. أكسيد البيتروجين .
٤. الهيدروكربونات .
٥. أول أكسيد الكربون .
٦. الملوثات الإشعاعية .
٧. المواد المسببة للضباب الأسود .

وفي حقيقة الأمر فإن الجسميات الدقيقة هي أخطر هذه الملوثات .

وهي تنتج عن الاحتراق الغير كامل للوقود في :–

١. المصانع
٢. محطات القوي
٣. المنازل
٤. محارق القمامة
٥. المخابز

وغير ذلك .

ويعد الكربون واحداً من أخطر الملوثات .

ويعتبـــر أول أكسيد الكربون هو الملوث الوحيد الذي لا ينتج إلا عن تدخل يد الإنسان وهو ينتج عن الإحتراق الغير كامل للوقود .

وهكذا فإنه بدلاً من تحول الوقود إلي غاز ثاني أكسيد الكربون الذي ينـتج عن الإحتراق الكامل ، يتحول إلي غاز أول أكسيد الكربون بسبب عدم إكتمال عملية حرق الوقود .

ويعتبر عادم السيارات هو المصدر الرئيسي لغاز أول أكسيد الكربون ، حيث يسهم بنحو ٨٠% من الغاز .

أيضاً فإن غاز ثاني أكسيد الكربون يعتبر من الملوثات الهامة .

والإنسان ينتج كميات ضخمة من هذا الغاز .

وهو ينتج عن إحتراق الفحم والبترول والغاز الطبيعي .

ومن أهم مصادره محطات توليد الكهرباء وآلات الإحتراق الداخلي .

وفـي الولايات المتحدة كانت كمية غاز ثاني أكسيد الكربون المنبعثة مـن إحتراق لوقود سنة ١٩٧٠ أكبر بعشرين ضعف ما كانت عليه سنة ١٨٩٠ .

وغاز ثاني أكسيد الكبريت يصيب رئة الإنسان بالأمراض إلي جانب كونه مسبباً للكثير من أمراض العيون .

وهو ينتج بصورة أساسية عن عمليات حرق البترول والفحم ، شأنه في ذلك شأن الملوثات الأخري .

وفي مدينة كارتارت بنيوجرسي أدي وجود مصنع للأدوات النحاسية إلي إنبعاث غاز ثاني أكسيد الكبريت بكميات كبيرة ، مما أدي بدوره إلي تسمم التربة والقضاء علي النباتات الخضراء .

وهـناك نـوع من الملوثات الهوائية يسمي بإسم " مسببات الضباب الأسود " .

وهـذه الملوثات هي في العادة مجموعة من الهيدروكربونات ، وهي تنتج عن الإحتراق غير الكامل في محركات السيارات والمواقد والأفران.

وقـــد تبـــين من خلال بعض الدراسات أن الإنسان مسئول عن إنتاج حوالي ٢٠% من هذه الملوثات .

كما ثبت أيضاً أن المراكز الصناعية الحضرية هي أهم مركز لإنتاج هذه الملوثات .

أيـــضاً فـــإن هناك دراسات أخري قد أوضحت أن عادم السيارات يحتوي علي أكثر من ٢٠٠ مركب من المركبات الهيدروكربونية الملوثة للهواء .

وقـــد ثبت أيضاً بالتجربة أن إحتراق طن واحد من الفحم يؤدي إلي إنتاج حوالي ١٠ كيلوجرامات من الهيدروكربونات .

ومن أشهر هذه الهيدروكربونات (البتروبنزين)

وينبعث هذا المركب غالباً من :-

١. دخان السجائر
٢. حرق الفحم
٣. عادم السيارات
٤. صناعات المطاط

وقد ثبت من خلال بعض الدراسات أن الفرد في المدينة يستنشق كمية من (البتروبنزين) تعادل إستنشاقاً سبع سجائر يومياً .

كمـــا ثـــبت أيـــضاً أن الطفل في مدينة مثل برمنجهام يستنشق من (البتروبنزين) ما يعادل إستنشاق ٥٠ سيجارة يومياً .

لـــذلك يتبين لنا أن مشكلة تلوث الهواء هي مشكلة حضرية في المقام الأول .

كمـــا يتبـــين لـــنا أيضاً أن ملوثات الهواء تنتج بصورة أساسية عن عمليات حرق الوقود .

تلـــك العملية التي تتم بصورة عامة في الحضر وليس في الريف أو الصحراء .

وممـــا يـــزيد مـــن تفاقم المشكلة في المدن هو أن من غير الممكن التخلص من القمامة بطريقة سليمة إلا بحرقها .

وهـــذا يـــؤدي بـــدوره إلـــي إنـــبعاث الكثيـــر من ملوثات الهواء . **ويقول (جون ميدلتون)** (G. Middelton) :-

" إنـــه في أي منطقة مزدحمة بالسكان ، من المؤكد أن الفرد يستنشق الرصـــاص وأكـــسيد النيتروجين ، وأول أكسيد الكربون ، ومواد أخري كالهيدروكربونات ، وأكاسيد الكبريت ، وعدة أنواع من الجسيمات الدقيقة وأكاسيد الحديد والألمونيوم .

وغيـــر ذلـــك من المركبات التي قد لا تكون كل منها علي حدة ذات خطـــر ، بـــل إن تفاعلها أو إختلاطها في نفس البيئة هو ما يجعلها ذات خطر بالغ وجسيم " .

إنتهي كلام (جون ميدلتون)

<u>(٢) تلويث المياه :-</u>

رغـــم الحاجـــة الملحـــة للإنسان للماء ، فإنه يتخلص من الكثير من فضلاته في البحيرات والأنهار والترع .

وقد بدأ إستخدام المسطحات المائية في التخلص من الفضلات الآدمية منذ فجر التاريخ .

ومـــع ذلـــك فإنه في السنوات الأخيرة زاد تلوث المسطحات المائية بصورة كبيرة .

ويـــرجع ذلـــك إلي التغيرات التي طرأت علي الصناعة والزراعة ، وزيادة عدد السكان .

والملوثات التي تلوث المجاري المائية هي :-

١. الفضلات الخام .
٢. المخصبات الكيمائية .
٣. السموم الناتجة عن بعض الصناعات .
٤. الغرين .
٥. أملاح المناجم .

أنماط التلوث المائي :-

مـــن المعروف أن المسطحات المائية تغطي ما يقرب من٧٠ % من سطح الكرة الأرضية .

وملوثات الماء – شأنها في ذلك شأن ملوثات الهواء – يقصد بها تلك المركبات التي تتسبب في إختلال التوازن الأيكولوجي للبيئة .

وكما سبق أن ذكرنا فإن هذه المشكلة – مشكلة تلوث المياه – ضاربة في القدم .

ولكن المشكلة إزدادت تفاقماً في السنوات الأخيرة نظراً للآتي :-

١. **إستخدام المبيدات الحشرية علي نطاق واسع .**
٢. **زيادة التركيز السكاني في المدن .**
٣. نمو الصناعات .
٤. **إنتشار المنظفات الكيمائية**

ويمكن القول بأن هناك أربعة أشكال للتلوث المائي .

وهذه الأشكال هي :-

١. التلوث الطبيعي

٢. التلوث الحراري

٣. التلوث الصناعي

٤. التلوث الناتج عن عمليات الصرف الصحي

وبالنسبة للتلوث الطبيعي فإنه مشكلة قديمة جداً .

إذ أن المخلفات كانت تصل إلي الماء منذ أن وجدت الكائنات الحية في كل مكان من أماكن الكرة الأرضية .

ولم يقتصر هذا النوع من أنواع التلوث علي فضلات الكائنات الحية فقط ، بل إن المادة الميتة كانت دائماً تجد لها طريقاً إلي المجاري المائية .

وقد كان الإقبال المتزايد علي إستخدام المبيدات الحشرية سبباً في تفاقم مشكلة التلوث الطبيعي للماء .

ولم يقتصر الأمر عند حد إستخدام المبيدات الحشرية فقط ، بل تعداه إلي إستخدام الأسمدة والمخصبات الكيمائية التي تحتوي علي عنصري النيتروجين والفوسفور اللذين تسببا في تلوث عدد كبير من المجاري المائية .

أما التلوث الحراري فإنه يحدث عند إستخدام الماء لتبريد آلات الصناعة .

وهذا النوع من أنواع التلوث يسبب ضرراً كبيراً للثروة السمكية .

وقد كشفت بعض الدراسات أن الماء الساخن أو حتي الدافيء لا يمكنه الإحتفاظ بنفس القدر من الغازات الذائبة .

بمعنـــي أنـــه كلما كانت المياه ساخنة كلما قل مقدار الأكسجين الذي تحمله .

ولهذا أثر سلبي بطبيعة الحال علي الثروة السمكية .

ومـــن الجديـــر بالذكـــر هنا أن صناعة الطاقة الكهربائية تتسبب في حدوث حوالي ٨٥ % من حجم التلوث الحراري في دول العالم المختلفة .

أما التلوث بالقاذورات ومياه الصرف الصحي يكاد يكون أكثر أنواع التلوث المائي إنتشاراً .

حيث يمكن التعرف عليه بالعين المجردة أوبالرائحة .

وتحتوي مياه الصرف الصحي علي مخلفات قد تكون سائلة وقد تكون صـــلبة مـــن فـــضلات الإنـــسان ، كما تحتوي علي كل مايتم إلقاؤه في البالوعات من ملوثات غير آدمية في منشأها .

وفي حقيقة الأمر فإن مشكلة تلوث المياه في المسطحات المائية بمياه الـــصرف الصحي تنجم عن زيادة السكان ، شأنها في ذلك شأن مشكلات الإسكان والنقل .

أمـــا عـــن التلوث الصناعي فإنه من أخطر أنواع تلوث الماء ، في المدن والمراكز الحضرية الكبيرة .

ومـــن المهم هنا أن نذكر أن مخلفات الصناعة ليست مادة واحدة بل هي مواد عديدة وقد يكون بعضها بالغ السمية .

ومن اهم الملوثات الصناعية ماينتج عن :-

١. عمليات التنظيف بالمنظفات الكيمائية .
٢. عمليات فصل المعادن .
٣. عمليات تكرير البترول .
٤. عمليات تشحيم الآلات .

ومن أشكال المواد الصلبة الملوثة للماء :ـ

١. لحاء الشجر

٢. نشارة الخشب

٣. عجائن الطعام

وتعتبـــر المـــواد المترسبة خطراً كبيراً شأنها في ذلك شأن المواد الطافـــية ، وأن كانـــت تخـــتلف عنها في أنها تترسب علي قاع المجري المائي.

ومن أمثلة المواد المترسبة :ـ

١. برادات وخراطات المعادن .

٢. الغبار الزغبي .

٣. تراب الفحم .

٤. الهباء المتصاعد من المداخن .

٥. تراب الأسمنت .

والشكل الثالث للملوثات الصناعية هو الأملاح المعدنية التي تنتج من بعض الصناعات .

ويعتبر السيانيد هو أخطر الملوثات الصناعية ، بل إنه أخطر ملوث علي وجه الإطلاق .

ذلك لأن السيانيد لا يقتل النباتات والحيوانات فقط بل إنه قاتل للإنسان أيضاً .

ومن الملوثات الصناعية الأخري :ـ

١. حمض الفينيك .

٢. الزرنيخ .

٣. البريليوم ..

٤. الكروم .

وقد تؤدي هذه المواد إلي مشاكل صحية بالغة الخطورة .

إذ أن هـــناك علاقة بين هذه المواد وبين الإصابة بالسرطان وبعض الأمراض المستعصية الأخري .

وفـــي بعـــض الأحيان تصرف بعض المصانع والمفاعلات مخلفاتها الإشعاعية في المجاري المائية .

والخطورة هنا بالغة ، ولا يفوقها خطورة إلا التلوث بالسيانيد .

(٣) التلوث بالمخلفات الصلبة :-

هناك مشكلة كبيرة تتواجد في المدن الكبري .

وهذه المشكلة هي مشكلة القمامة والنفايات وكيفية التخلص منها .

وقد كانت هناك تجربة بذلت في سبيل القضاء علي تلك المشكلة .

وكـــان مـــؤدي هذه التجربة هو تغليف المنتجات في أوعية ، بحيث يصير التخلص من تلك النفايات أمراً ميسوراً .

والأوعـــية التي تم إستخدامها في هذه التجربة كانت عبارة عن علب من الكرتون .

وقد ذكرت إحدي الدراسات التي تم إجراؤها في الولايات المتحدة أن متوسط ما يخلفه الفرد الواحد من سكان المدينة من نفايات يصل إلي أكثر من طن في العام الواحد .

(٤) التلوث الصوتي :-

زاد التلوث الصوتي حدة بعد إنتشار الصناعة علي نطاق واسع .

وقد بلغت نسبة التلوث الصوتي في الوقت الراهن حداً كبيراً يستلزم من المختصين مواجهته .

وقد ثبت من خلال إحدي الدراسات أن بعض الشباب أصيبوا بالصمم الكامل نتيجة كثرة إستماعهم للموسيقي الصاخبة .

أيضاً فإن التوسع الصناعي قد يساعد علي تفاقم المشكلة بشكل كبير.

ومن الطبيعي أن الإزدحام يؤدي إلي الضوضاء .

لـــذلك فإن المشكلة تعتبر أكثر تعقيداً في المدن ذات الكثافة السكانية العالية .

كيف تواجه مشاكل التلوث ؟ :ـ

كمـــا سبق أن ذكرنا فإن تلوث البيئة مشكلة تحدث إذا تغيرت بعض العـــوامل البيئـــية ، سواء كانت هذه العوامل ناتجة عن تدخل الإنسان أو غير ذلك .

وقـــد سبق أن ذكرنا أيضاً بعض ملامح خطورة التلوث علي صحة الإنسان .

والمشكلة التي نحن بصددها كائنة في الدول المتقدمة والدول المتخلفة علي حد سواء .

وإذا كانـــت بعـــض الملـــوثات قد تمت دراستها من حيث مصادرها وخطـــرها علـــي صحة الإنسان ، فإن بعض الملوثات الأخري لا تزال مجهولة المصدر ومجهولة التأثير علي صحة الإنسان .

لذلك يجب إجراء دراسات في هذا المضمار .

مقاومة تلوث الهواء :ـ

يمكـــن القول بأن سبل مكافحة التلوث الهوائي تنقسم إلي سبل وقائية وسبل علاجية .

ومن الإجراءات الوقائية :ـ

١. القوانين المانعة للتلوث .
٢. اللوائح المنظمة لذلك .

أمـــا بالنسبة للإجراءات العلاجية فمن ضمنها الإجراءات الفنية التي يؤمل منها الإقلال من التلوث إلي أدني حد ممكن .

وأيـــاً كـــان التقسيم فإن الإجراءات التي يتم إستخدامها في مكافحة التلوث تهدف إلي إما منع إطلاق الملوثات ، أو تقليلها والتحكم فيها وفي نسبتها .

ولأن عمليـة حرق الوقود هي السبب الأكبر خطورة لتلوث الهواء ، لذلك توجه الجهود إلي الاهتمام بالتحكم في كمية ونوعية الملوثات .

وهكذا يمكن الاختيار بين خمسة بدائل وهذه البدائل هي :-

1. إختيار أنواع من الوقود ذات السمية المنخفضة .
2. إزالة الملوثات .
3. تشغيل المصانع بصورة تقلل من إنبعاث الملوثات .
4. التخلص من الملوثات التي تنتج عن عملية احتراق الوقود .
5. إستبدال ميكانيكية التصنيع بطرق أخري حديثة لا تسبب التلوث .

مقاومة تلوث الماء :-

إن إزدياد السكان وكثرة المجتمعات الحضرية الكثيفة ، وتغير الأنماط التنظيفـية التي يستخدمها الإنسان والتوسع في الصناعة ، كان له تأثيراً بالغاً علي مشكلة تلوث الماء ، خاصة في السنوات الأخيرة .

ومن الطرق التي تستخدم للتخلص من مياه البالوعات ومياه الصرف الصحي :-

1. عملية الهضم بالباكتريا .
2. فصل المياه من الحمأة .
3. إلقاء الفضلات في حفر .
4. إستخدام الفضلات في تخصيب التربة .
5. التجفيف .
6. الحرق .
7. الأكسدة .

ومع ذلك فإن الوسيلة الأكثر شيوعاً في التخلص من مياه البالوعات هي إلقاؤها في المجاري المائية .

وإلقـــاء مياه البالوعات في مجاري المياه العذبة يتسبب في كثير من المشاكل المتعلقة بالصحة العامة ، ويسبب أمراضاً عديدة لعل من أهمها الإصابة بالتيفوئيد .

هذا إلي جانب الروائح الكريهة وتوالد الحشرات .

وقد تبنت كثير من الدول المتقدمة ، مثل الولايات المتحدة علي سبيل المثال مايعرف بإسم " المعالجة الثالثة للمياه العادمة "

حيث يتم التخلص من الملوثات بدرجة أكبر من الطرق التقليدية .

الباب الثاني
الإجرام

الفصل الخامس
علاقة الجريمة المنظمة بالواقع الإجتماعي

الفصل الخامس

علاقة الجريمة المنظمة بالواقع الإجتماعي

تمهيد :-

يعــتقد الــبعض بــأن الجــريمة المنظمة تنحصر في دول أوروبا والولايات المتحدة فقط .

ولكن هذا الظن غير صحيح .

إذ أن الجـــريمة المنظمة قد بدأت في الظهور في بلادنا العربية في السنوات الأخيرة .

وليس من الحكمة في شيء تجاهل منظمات الجريمة المنظمة حتي تسبب في شيء بشع يواجهنا في مجتمعاتنا .

ويجـــب وضع سياسة لمقاومة الجريمة المنظمة ، وذلك عن طريق الإستعادة من خبرات رجال القانون ، وعلماء الأنثروبولوجيا ، والإجرام والإجتماع والإقتصاد والسياسة والإدارة .

تعريف الجريمة المنظمة :-

هــناك عــدة مــصطلحات يستخدمها المشتغلون بالقانون لوصف الجريمة المنظمة .

ومن هذه المصطلحات :-

١. الجريمة المنظمة Organized
٢. الجريمة الإحترافية profissional
٣. الجريمة المتقنة Sophisticated
٤. الجريمة المخططة Planed
٥. النقابات الإجرامية
٦. التنظيمات الإجرامية

والمصطلحات السابق ذكرها تتشابه في مدلولاتها إلي حد كبير .

ولكــن فــي الحقيقة فإن هناك إختلاف ولو ضئيل بين ل مصطلح وآخر .

ومــثال ذلك الفرق بين الجريمة المنظمة (Organized Crime) وبين الجريمة الإحترافية (Professional Crime)

لذلك يجب دائماً البحث عن المصطلح الأمثل الذي يمثل الحالة .

وقد تكون مكانة المجرم المحترف عند زملائه أكبر منها عند مجرم الجريمة المنظمة .

ومن الأمور الجديرة بالذكر هنا أن الجرائم التي يرتكبها المجرمون المحترفون تختلف عن الجرائم التي يرتكبها مجرمو الجريمة المنظمة .

والمجــرم المحترف عادة ما يلجأ إلي السرقة ، في حين أن مجرم الجريمة المنظمة قد يرتكب جرائم أخري مثل الدعارة والإبتزاز .

وإذا كان لرجال الشرطة والقانون معرفة كبيرة بأساليب الإجرام ، فإن المجرم لديه معرفة كبيرة أيضاً بثغرات القانون .

وينطبق هذا القول علي رجال الجريمة المنظمة بصفة خاصة .

وعــصابات الجريمة المنظمة عادة مايكون عدد افرادها كبيراً في حين أن العصابات المحترفة يكون عدد أفرادها قليلاً في الغالب .

ويقــول البعض : " إن تعريف الجريمة المنظمة غامض ومختلف عليه من قبل فقهاء الجريمة " .

نماذج عصابات الإجرام :-

يقول (كرسي) (Cressy) :-

" إن كــل الجماعــات والعــصابات والفــرق والحلقات والنقابات والإتحادات والتحالفات التي تتخذ من الإجرام هدفاً لها ، تعتبر تنظيمات إجرامية وتصور صوراً ونماذج للجريمة المنظمة " .

إنتهي كلام (كرسي) .

وفي موضع آخر يقول (كرسي) (Creesy) :-

" إن هناك اربعة ملاحظات هامة .

أولهــا : أالخط الفاصل بين التنظيمات الإجرامية غير الرسمية والرسمية غيــر واضـــح ولا تــوجد هناك وسيلة سريعة أومحكمة للتمييز بينهما.

ثانياً: لا ينبغي أن نسلم بأن كل تنظيم إجرامي غير رسمي سوف يرقي بالضرورة إلي مكانة التنظيم الرسمي .

ثالــثاً : إن الــسمات الثلاثة المميزة للتنظيمات الرسمية ، هي من قبيل الدرجـــة ، ولا ينبغي التسليم بأن التنظيم الرسمي البسيط سوف يرقي بالضرورة إلي شكل أكثر تعقيداً .

رابعــاً : إن أبنــية التنظيم الرسمي ليست في حاجة إلي أبنية هرمية في السلطة والقوة .

فالــصورة غالــباً ماتقتــرب مــن خريطة الطرق – وتمثل توزيع الأوضـــاع الوظيفــية المدن علي هذه الخريطة – أكثر ماتتشابه مع رسم السلم الهرمي " .

إنتهي كلام (كرسي)

وفي موضع ثالث يقول (كرسي) (Creesy) :-

١. إننا لسنا بصدد جريمة منظمة بمعني سلوك يغلب عليه طابع التنظيم .

وإنمـــا نحـــن بصدد تنظيم قام من أجل أهداف إجرامية ، فهي ليست جـــريمة واحـــدة بمعني أنه يرتكبها شخص ، وتتكون من نشاط إجرامي واحـــد ، بل هي مشروع إجرامي يحوي أنشطة إجرامية متعددة ، ويقوم عليها إناس متعددون .

٢. وإن هــذا التنظيم الإجرامي يظهر بين جماعات متباينة – بدءا من جماعــات النواصــي وتجمعــات الجيرة – وعصابات الجانحين – وجماعــات اللــصوص – والنشالين – وحتي الإتحادات الفيدرالية .... إلخ .

٣. ويقوم هذا التنظيم الإجرامي علي علاقات بين أدوار متباينة وأوضاع مختلفة ، ترتب حقوقاً والتزامات متباينة .

وتجمع بينهم أساليب ومستويات ومواقف وإتجاهات وقواعد وإتفاقيات تسهل عملية التنسيق بين نشاطات شاغلي الأوضاع ، وتدعم تقسيم العمل بينهم .

٤. إن هــذا التنظــيم الإجرامي قد أنشأ علي نحو هادف ، وله أغراضه المعلنة أو الغيرصريحة " .

إنتهي كلام (كرسي)

علاقة التنظيمات الإجرامية بالسياسة :-

قد يكون من المستغرب أن عصابات الجريمة المنظمة تفيد في بعض الأحيان النظام السياسي للدولة .

والمــثال الشهير علي ذلك هو ما يحدث في الولايات المتحدة بشكل خاص أحياناً .

ويقول (تابور) (Tabor) :-

" إن هــنا تآمــراً علي الأقليات بالولايات المتحدة شارك فيه رجال الشرطة الذين أفسدهم المجرمون المنظمون ".

ويضيف (تابور) (Tabor) :-

" إن بيع الهــيروين وتكوين جيش صغير من مدمني المخدرات داخل هــذ المــناطق للأقلــيات يجعــل الأشخاص الذين قد يعارضون النظام

الإجتماعـــي القـــائم مغيبـــين في الإدمان ، وفي حالة إستغراق في اللهو والخيال بعيداً عن الظروف غير الإنســانــية السائدة في هذه المناطق " .

إنتهي كلام (تابور)

أما (بيترز) (Piterse) فيقول :-

" إن الجـــريمة المـــنظمة تـــساعد الإدارة السياسية علي التحكم في مشكلات السكان ، من خلال عدد من الطرق .

اولهـــا : أن الجـــريمة المـــنظمة توفر بناءاً للفرص موازية ، ومجالات للعمـــل والإستخدام في نشاطات غير قانونية للأشخاص الذين قد يكونوا في حالة بطالة ، وغير مرضي عنهم سياسياً .

وثانـــياً : إن السلع والخدمات التي توفها الجريمة المنظمة للطبقات الدنيا في المجتمع تبدد طاقاتهم بعيداً عن مصادر ضجرهم وظلمهم .

وطالمـــا أن الجـــريمة المنظمة تحتكر السلع والخدمات الغير قانونية فإنها تساعد بالفعل ، وتحافظ علي النظام العام ،لأن الإحتكار يترتب عليه تحقـــيق أرباح ، وبالتالي شعور بالأمن ، فتقل الحاجة إلي العنف " .

إنتهي كلام (بيترز) .

علاقة التنظيمات الإجرامية باقتصاد الدولة :-

كـــان لعـــصابات الجـــريمة المنظمة دور في قمع القلاقل النقابية في الولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثينات من القرن الماضي .

وقـــد كان رجال الشرطة ورجال الأعمال يجندون أفراداً من المافيا لتهدئة القلاقل في أكثر ن موقع .

وإذا كـــان قـــد حـــدث هجوم بشع من رجال عصابات المافيا علي المنـــشقين داخـــل النقابات سنة ١٩٤٠ ، فإن ذلك قد تم بأمر الصفوة من رجال السياسة للحيلولة دون إنتشار الإشتراكية في الولايات المتحدة .

غسيل الأموال :-

يقـــول بعض علماء لإقتصاد أن عملية غسيل الأموال القذرة هي من الأنشطة المساعدة علي تحقيق أهداف خاصة ، وذلك تحت غطاء أشكال قانونية سليمة في مظهرها .

وتقـــوم المـــنظمات الإجرامية بالتسلل إلي داخل المؤسسات التجارية لتوظيف أموالها وهي تجني أرباحاً طائلة من وراء هذا .

ويقول الباحث الامريكي (جيفري روبنسون) :-

" إن بـــريطانيا قـــد أصـــبحت مركزاً لغسل الأموال القذرة ، التي أصبحت ثالث أكبر تجارة عالمية في الوقت الحاضر .

وإن عملـــيات غـــسل الأمـــوال القذرة قد دخلت في تصميم النشاط الإقتـــصادي فـــي المملكـــة المـــتحدة ، وأن نسبة كبيرة من المشروعات والإنشاءات تدار أو تدخل فيها هذه الاموال بشكل أو بآخر .

وإن إنـــتقال تجـــارة غسيل الأموال عبر الأطلنطي بما يصاحبها من أعمال عنف قد أصبحت مسألة وقت فقط " .

إنتهي كلام (جيفي روبنسون)

علاقة المنظمات الإجرامية بالفساد في الدولة :-

إن فـــساد الموظفـــين العموميين يعتبر عنصراً هاماً لبقاء منظمات وعصابات الجريمة المنظمة .

وقـــد كانـــت تلك العصابات تعتمد علي الرشاوي وتزوير الأصوات الإنتخابية للتأثيرعلي رجال الشرطة ورجال القانون ورجال التشريع .

وتحـــرص العـــصابات الإجرامية في كثير من الأحيان علي وجود وضع وظيفي داخلها يطلق عليه إسم " الفاسد " (Corrupter) .

والشخص الذي يقوم بهذه الوظيفة يقوم بالرشوة والإبتزاز ، وغالباً ما يكون حلو الحديث في علاقته برجال الشرطة ، والموظفين العموميين.

الفصل السادس
الفساد في الدول المتقدمة

الفصل السادس
الفساد في الدول المتقدمة

الفساد في الولايات المتحدة :-

يقول (جاكوب كلافرن) (J . Klavern) :-

" إنــــه علي الرغم من التقدم التكـنولوجي والحضاري الذي وصلت إليه الولايات المتحدة إلا إن معدلات الفـساد لاتزال في تزايد مسـتمر ".

ويقول أيضاً :-

" إن الفساد في الولايات المتحدة الأمريكية لا يسير بشكل عشوائي أو تلقائي ، ولكن يسير بشكل أكثر إنتظاماً وإتساقاً .

وهـذه الحقائــق مؤكدة ومعروفة لدي كافة الدارسين لتاريخ المجتمع الأمريكي " .

إنتهي كلام (جاكوب كلافرن) .

وبالرغم من تفشي الفساد في الولايات المتحدة إلا إنه ليس من السهل الحصول علي بيانات دقيقة لتحليل هذه الظاهرة .

ومــن أشــهر قــضايا الفساد السياسي في الولايات المتحدة فضيحة ووترجيت التي تسببت في إستقالة الرئيس ريتشارد نيكسون عام ١٩٧٤ .

الفساد في ألمانيا :-

بالــرغم مــن المستوي الراقي للتكنولوجيا في ألمانيا ، إلا إن هناك بعض التجاورات ذات الصلة بالفساد .

وقــد زادت معــدلات الرشــوة فــي ألمانيا بشكل حاد في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة .

وقــد أدي ذلك إلي تغليظ العقوبة علي كل من يرتكب جريمة الرشوة في ألمانيا .

الفساد في إنجلترا :ـ

إن قـــضية الفساد السياسي في إنجلترا قد شغلت الرأي العام منذ سنة ١٩٤٨ وحتي الآن .

إذ أنـــه فـــي شـــتاء عام ١٩٤٨ ، وبعد ثلاث سنوات فقط من إنتهاء الحرب العالمية الثانية ، كثرت الشائعات حول الفساد السياسي للحكومة .

وقد أدي هذا إلي إستدعاء رئيس الوزراء وقتئذ " آتلي " (Attleee) إلي المثول أمام المحكمة .

وتقول (كولين ليز) (K . Leys) :ـ

" إن دراســـة الفـــساد بشكل علمي لم تظهر في إنجلترا إلا منذ عقود قليلة ماضية .

ويرجع ذلك إلي عدة صعوبات لعل من أهمها صعوبة الحصول علي المعلومات والحقائق المتصلة بالممارسات الفاسدة .

فحجم الإشاعات والإدعاءات كبير .

ولكن الحقائق والبيانات الإحصائية الكمية عن هذه الظاهرة تكاد تكون نادرة نظراً لسياج السرية الذي تحاط به هذه الممارسات .

وحتي إذا أمكن الحصول الحصول علي هذه البيانات ، فإنه ليس من السهل تداولها ، ونشرها علي أفراد المجتمع .

وحتي إذا أمكن قياس الآثار الإقتصادية المترتبة علي هذه الممارسات الفاســـدة فـــإن نشرالنتائج يثير بعض المشاكل خاصة إذا إقترنت بأسماء بعـــض أفـــراد صـــفوة القوة في المجتم الذين علي علاقة ببعض أشكال الفساد " .

إنتهي كلام (كولين ليز)

الفساد في دول العالم الثالث :-

ليس هناك من شك في أن كافة الدول النامية تعاني من ظاهرة تفشي الفساد .

وفـــي حقـــيقة الأمر فإن الفساد والرشوة والتهرب الضريبي يستبعد جزءاً كبيراً من موارد الدولة .

وقد أشارت كل الدراسات التي بحثت في تفشي الفساد في دول العالم الثالث سواء في آسيا أو إفريقيا أو في أمريكا الجنوبية أن الفساد شائع في هذه المناطق بصورة ضخمة جداً .

ويقول (دافيد بايلي) عن الفساد في الهند :-

1) إن الفساد يعتبر جزءاً من الحياة اليومية .

2) إن الفـــساد لايقتـــصر علي أفراد بعينهم ، أو مؤســسات دون أخـــري ، أو طبقة محددة ، ولكن يظهر بدرجات متفاوتة داخل البناء الإجتماعي لهذه المجتمعات .

والمعني المقصود هنا ليس فساد المجتمع ككل ، وإنما قد يكون هناك جماعة فاسدة تضم أفراداً ينتمون إلي مستويات وظيفية متباينة ، وبالتالي إنتماءات طبقية مختلفة .

3) إن للفـــساد نسقاً ينمو بالتدريج وأصبح يحتل مكانة متقدمة علي سلم القيم في المجتمعات النامية .

4) إن المحصلة النهائية للفساد في المجتمعات النامية هي إقتصادية . بمعني أن كافة أشكال الفساد لها تأثير إقتصادي بالسلب أو بالإيجاب علي البناء الإجتماعي في تلك المجتمعات " .

إنتهي كلام (دافيد بايلي)

علاقة الفساد بالطبقة الإجتماعية :-

هناك عدة أسئلة تفرض نفسها عند التحدث عن علاقة الفساد بالطبقة الإجتماعية .

ومن هذه الأسئلة :-

١. هل الفساد لا يحدث إلا في طبقة إجتماعية معينة ؟

٢. هل ينتشر الفساد في فئات إجتماعية أكثر من غيرها ؟

ولا شك في أن الباحث الذي يقوم بدراسة الفساد في كافة أنحاء العالم يجد انه ظاهرة متفشية في كل الطبقات الإجتماعية بلا إستثناء .

وعلي سبيل المثال فإنه في المجتمع الهندي برغم تغلغل الفساد داخل البناء الإجتماعي ، إلا أن الخطورة تكمن في أنه يشمل الطبقات العليا في المجتمع بصورة خاصة .

أيضاً فإنه في المجتمع الإنجليزي برز الفساد في فئة الصفوة أكثر من إنتشاره في الطبقات الدنيا من المجتمع .

وإذا قارننا بين الفساد في المجتمعات النامية ، وبينه في المجتمعات المتقدمة فسوف نجد أنه أكثر إنتشاراً في فئة الصفوة في الدول النامية اكثر منه في الدول المتقدمة .

الفساد وعلاقته بالقيم الإجتماعية :-

ليس هناك من شك في أن الفساد في المجتمع يأتي من لا شيء .

إذ إنه ينبع دائماً من خلال إطار من القي المسماة بالقيم " المنحرفة أو الفاسدة " .

ذلك أن الفساد شأنه شأن أي ظاهرة إجتماعية أخري لا يأتي نتيجة لظروف نفسية طارئة ، وإنما هو ظاهرة إجتماعية معقدة الجذور .

ويمكن القول باختصار أن الفساد هو ظاهرة إجتماعية منتشرة في كل بلدان العالم تقريباً .

العوامل المؤدية إلي إنتشار الفساد الإقتصادي في الدول النامية :ـ

لا شـــك أن ظاهرة الفساد الإقتصادي هي مشكلة ذات أبعاد مختلفة ، ولا تتوقف علي عامل وحاد .

وفي هذا يقول (كولين ليز) (Collin Leys) :ـ

١- إن غالبـــية المجـــتمعات النامـــية كانت مستعمرات أجنبية وهذه المجتمعات بدأت تحصل علي إستقلالها منذ عقود قليلة مضت .

حيث كانت تحكم من خلال قوي الإستعمار الأجنبية التي تختلف في كل شيء عن أفراد المجتمع ، فترسخ في نفوسهم عداءاً شديداً ، وخوفاً ، ورهبة ، في سلوك وتصرفات الحكومة الاجنبية .

ومـــن ثـــم أصبح أي سلوك مخالف للسلطة شيئاً محبباً إلي نفوس أفراد المجتمع .

وعـــندما حـــصلت تلك المجتمعات علي إستقلالها ، لم يستطع أفراد المجتمع تغيير مشاعرهم تجاه الحكومة الوطنية الجديدة بشكل سريع لأن فكـــرة المـــصلحة الوطنية لم تتبلور بشكل مقبول ، كما إنها كانت فكرة جديدة بالنسبة للمجتمعات .

ومن ثم فليس هناك ما يدعو للعجب أن يقف كثير من أفراد المجتمع من بعض الحكومات موقف العداء .

فهي تعتبر بالنسبة لهم أدوات للسلب والنهب ، وليست ادوات لتحقيق المصلحة العامة .

فـــالفلاح الأمي في بعض المجتمعات النامية يري في الدولة وهيئاتها المختلفة مصدراً للتعليمات المعقدة غير المفهومة .

ومن ثم فإنها مصدر دائم للتهديد والعقاب .

ولــذلك يتخذ أي إجراء لحماية نفسه من العقاب بتــقديم الرشــاوي مثلاً .

٢- يظهــر الدافــع إلــي الفساد الإقتصادي وبشكل واضح في حالة التفاوت الطبقي الصارخ ، أو حالة اللامساواة والفقر المدقع .

فــإذا نظــرنا إلــي الوضــع الطبقــي للموظف الحكومي في بعض المجــتمعات النامية ، والضغوط المادية والنفسية التي يعاني منها هذا من ناحــية ، والمستوي المعيشي ذي الثراء الفاحش الذي يعيشه أفراد الطبقة العلــيا مــن ناحــية أخري ، وما يمكن أن يحققه هذا الموظف من دخل إضــافي لتحــسين مستوي معيشته عن طريق الرشوة ، وفي ظل العقاب المتواضع للغاية لمثل ذلك السلوك .

فلا غرابة أن يكون السلوك المتوقع لهذا الموظف هو سلوك الفساد ، لأن هذا الموظف لديه من المبررات الشخصية التي تدفعه إلي الإقدام علي هذا السلوك .

٣- إن غالبــية أفراد بعض المجتمعات النامية ليسوا علي درجة من الوعي ، والثقافة اللازمة لفهم القواعد الرسمية أو طبيعة السلوك الواقعي الذي ينتهكونه حتي إذا كانوا علي علم واضح بها .

فقــد يــرجع الفــساد الإقتصادي إلي أنهم لا يقاومون إنتهاك هذه القواعد ، لذلك لا يتحمسون لمقاومة الفساد . "

إنتهي كلام (كولين ليز) .

ويمكن القول بأن أسباب الفساد الإقتصادي هي ثلاثة اسباب رئيسية .

وهذه الأسباب الثلاثة هي :-

(١) الأسباب الإجتماعية للفساد :-

تعانـــي الدول النامية في معظمها من أحوال معيشية متدنية بالمقارنة بالدول المتقدمة .

وإنتـــشار الأمية والفقر والمرض وسوء حالة الرعاية الصحية تعتبر عوامل مهمة في ترسيخ الفساد في المجتمع .

(٢) الأسباب السياسية للفساد :-

إن الأسباب السياسية للفساد تعتبر أهم أسبابه قاطبة .

وفـــساد صـــفوة القـــوة السياسية في أي مجتمع أشد خطورة من أي أسباب أخري للفساد الإقتصادي في المجتمع .

وأسباب الفساد السياسي يمكن تلخيصها في الآتي :-

(أ)غياب الديمقراطية :-

ثبت من خلال بعض الدراسات أن الفساد يرتبط في كثير من الأحيان بالسياسات التي تنتهجها الدول ذات الحكومات الإستبدادية .

وبـــوجه عـــام يمكن القول بأنه كلما غابت الديموقراطية كلما زادت فرص الفساد في الظهور بصورة واضحة في المجتمع .

(ب) الإنقسامات القبلية :-

إن الـــصراعات القبلـــية والطائفية قد تركت آثارها علي بناء النسق الإقتصادي في بعض المجتمعات .

والخطـــورة فـــي هـــذا هي أن الإنتماءات القبلية تسود أحياناً علي الإنتماءات القومية في كثير من دول إفريقيا وآسيا .

(٣) **الأسباب الإقتصادية للفساد الإقتصادي :ـ**

تعتبــر العوامل الإقتصادية من الأسباب المهمة في إنتشار الفساد في المجتمعات المختلفة .

ولعل من أهم تلك العوامل هو قلة دخل الفرد خاصة في الدول النامية

وقد أشارت بعض الدراسات إلي أن ما يحصل عليه الفرد في الدول النامــية قــد يــصل إلي ٢٥ دولاراً في السنة في الوقت الذي يبلغ فيه مايحصل عليه الفرد في بريطانيا حوالي ٣٥ دولاراً في الأسبوع .

ومستوي دخل الفرد ليس مشكلة في كل دول العالم الثالث .

إذ أن بعــض هــذه الــدول – خاصة الدول البترولية مثل السعودية والكويت – يصل فيها دخل الفرد إلي مستويات عالية .

ومع ذلك فإن الفساد السياسي والإقتصادي في بعض تلك الدول يجعل دخل الفرد منخفضاً بعض الشيء .

الباب الثالث
التطرف

الفصــل الســابـــع

تحليل ظاهرة التطرف في مصر

الفصل السابع

تحليل ظاهرة التطرف في مصر

مقدمة :-

سوف نتكلم في هذا الجزء من الكتاب عن كيفية تحول الأفكار الدينية إلي تنظيمات إجتماعية .

كما سوف نتكلم أيضاً عن الكيفية التي يتم بها إدارة شئون هذه التنظيمات ، وقيامها بوظائفها تجاه أفرادها وتجاه الآخرين .

ما هي طبيعة التنظيم الديني ؟ :-

يمكن القول بأن الجماعات الدينية عادة ماتكون نفسها حول المباديء الدينية .

وهي تتشابه في تنظيمها مع المنظمات الأخري في المجتمع ولكن أهدافها تختلف تمام الإختلاف عن توجهات المنظمات الأخري السابق الإشارة إليها .

ومن الجدير بالذكر أنه كلما زاد عدد أفراد الجماعات الدينية ، كلما قل إتفاق أولئك الأفراد علي طبيعة أهداف التنظيم .

ماهي طبيعة القيادات الدينية ؟ :-

في بعض الأحيان تتخذ السلطة الدينية شكلاً هرمياً .

وعادة ماتحتاج المنظمات الدينية إلي الخبرة والتدريب .

ولكي تنجح المنظمات الدينية فإن هذا يتوقف علي العلاقة بين القادة والأعضاء من جهة ، ودرجة تمتع القيادة بسلطة ملهمة من ناحية أخري .

والنمط السائد في أفراد قيادات التنظيمات الدينية هو السلطة الكاريزمية .

والمقصود بذلك هو أن قائد الجماعة الدينية يتميز بصفة خاصة لشخصيته وبفضلها فإنه يتميز عن زملائه من الأفراد العاديين .

ماهو التطرف :ـ

يمكـــن القـــول بأنه من الناحية القانونية هناك إختلافات بين الجريمة والتطرف .

إذ أن الجـــريمة هـــي خـــروج علي القانون ، وهي في عكس إتجاه القاعدة .

أما التطرف فإنه في إتجاه القاعدة الإجتماعية .

ومن الصعب تحديد أين يبدأ التطرف وأين ينتهي ؟

والمتطرف يبدأ في أول الأمر متخذاً أسلوباً سرياً .

وفـــي هـــذه المـــرحلة لا يمكـــن مؤخذاته ، لأنه يتحرك مع القاعدة الإجتماعية ، وليس ضدها .

هـــذا في الوقت الذي يمكن للحكومة أن تضع المجرم في السجن مع أول جريمة يرتكبها .

ويـــرجع ذلـــك إلـــي أن المجرم يعمل ضد إتجاه القاعدة الإجتماعية فيسهل إكتشافه بسهولة في كثير من الأحيان .

وبوجه عام فإن المتطرف الديني عادة مايبدأ بإلتزام التعاليم الإسلامية ودعوة الآخرين للإلتزام بها .

وهو أمر لايمكن مؤخذاته عليه ، بل إنه أمر مقبول ومطلوب .

ولكن المتطرف الديني يتجه بعد ذلك إلي العنف ضد أعضاء المجتمع ، الذي هو مجتمع كافر من وجهة نظره .

ولـــيس هـــناك من شك في أن المجتمع يجب أن يتدخل لردع أفراد التنظيمات الدينية الذين يتخذون من العنف سبيلاً لهم .

ما هي أسباب التطرف ؟ :ـ

إذا حاولنا معرفة الأسباب التي تؤدي إلي التطرف الديني فسوف نجد أن هذه الأسباب متعددة ومتشعبة .

فمن ضمن تلك الأسباب :ـ

١. ما يتعلق بالقيم الثقافية السائدة بالمجتمع .

٢. مايتعلق بالنظام السياسي .

٣. مايتعلق بالأوضاع الإجتماعية .

٤. مايتعلق بالفرد ذاته .

ويمكن القول بأنه من أهم هذه الأسباب :ـ

(أ) الفهم الخاطيء للدين .

(ب) إحباط الشباب نظراً لإفتقادهم إلي مثل عليا يؤمنون بها وتشكل سلوكياتهم .

(ج) الخطأ في تعميم الأحكام .

(د) إنتشار الأساليب القمعية التي يمارسها بعض أفراد الشرطة ضد الشباب بوجه عام وبين شباب الجماعات الدينية بوجه خاص .

(هـ) غياب الحوار بين شباب الجماعات الدينية وبين الشخصيات الدينية المعتدلة .

ماهي مظاهر التطرف ؟ :ـ

يعتبر " التعصب " هو أول شكل من أشكال التطرف .

وهذا التعصب يصل إلي درجة عدم إحترام رأي الآخرين الذين لا ينتمون للتنظيم الديني .

ومن مظاهر التطرف أيضاً التشدد في أداء الواجبات الدينية .

وقد يتخذ التطرف شكلاً ثالثاً وهو اللجوء إلي العنف .

ويبلغ التطرف قمته عندما يستحل المتطرف دماء الآخرين الذين هم خارج التنظيم .

ولا شك أن السياسات التي تم إتخاذها للحد من مشكلة الإرهاب والتطرف في مصر كانت ناجحة إلي حد كبير .

المراجـــــع

(١) علم الإجتماع والمشكلات الاجتماعية

أ. د /علي عبد الرازق جلبي

أ. د / السيد عبد العاطي السيد

أ. د / محمد علي محمد البدوي

(٢) علم الاجتماع الديني

أ. د / محمد أحمد بيومي

(٣) رأي في الجماعات الإسلامية

أ. د / مصطفي فرغلي

(٤) الدراسة العلمية للسلوك الإجرامي

أ. د / سمير نعيم أحمد

(٥) علم الإجتماع والأزمة

أ. د / أحمد مجدي حجازي

(٦) نحو سيكولوجيا نقدية لدراسة المشكلات الإجتماعية

أ. د / أحمد زايد

(٧) البهائية سراب

أ. د / عبد الله النوري

فهرس المحتويات

البيـــــــــــان	رقم الصفحة
الباب الأول	
الفصل الأول : حقيقة المشاكل الاجتماعية	٧
الفصل الثاني : مشاكل الاسكان في المناطق الحضرية	٢٥
الفصل الثالث : عمليات النقل في المدن	٨٥
الفصل الرابع : تلوث البيئة	١١١
الباب الثاني	
الاجرام	١٢٥
الفصل الخامس : علاقة الجريمة المنظمة بالواقع الاجتماعي	١٢٩
الفصل السادس : الفساد في الدول المتقدمة	١٣٧
الباب الثالث	
التطرف	١٤٥
الفصل السابع : تحليل ظاهرة التطرف في مصر	١٤٩
المراجع	١٥٣
الفهرس	١٥٥

رقم الإيداع :	٢٠٩٥١/٢٠٠٨
الترقيم الدولي :	I.S.B.N 977-212-167-0

